

# دار الكون لا



الروايات المشهورة



ARABCOMICS.NET



نسيح







# دراڤكولا



الروايات المشهورة



تأليف: بَرَام سَتُوكَر  
إعداد: الدكتور محمد محمود رضوان  
رُسُوم: نَسِيم ج. نصيف

مَكْتَبَةُ لِبْنَان  
بِيرُوت

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة  
جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه  
أو تسجيله بأية وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر.

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٢٩٠ / ٨٨
الترقيم الدولي : ٩٧٧-١٤٤٥-٤٨-٠٠ ISBN

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة



## الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

### قَلْعَةُ دِرَاكُولَا

#### الفصل الأول

لَمْ يَكِدِ الْفِطَارُ يُغَادِرُ بُودَابِسْتِ حَتَّى أَحْسَ جُونَانَانُ هَارَكِرَ أَنَّهُ يُودَّعُ الْغَرْبَ وَيَسْتَقْبِلُ الشَّرْقَ . لَمْ يَكُنْ جُونَانَانُ قَدْ غَادَرَ الْبُلْدَ قَطُّ مِنْ قَبْلُ ، وَلِذَلِكَ بَدَأَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ غَرِيبًا عِنْدَمَا بَدَأَ رِحْلَتَهُ . أَمَّا الْآنَ فَقَدْ آزَدَادَ كُلُّ شَيْءٍ غَرَابَةً : الطَّعَامُ الْجَرِيفُ الَّذِي يَجْعَلُهُ يُجَسُّ وَكَانَ فِي فَمِهِ نَارًا ، وَاللُّغَاتُ الَّتِي لَا يَعْرِفُهَا ، وَوَادِي الدَّانُوبِ الْمُتَسِيطُ الْمُتَرَامِي الْأَطْرَافِ ، وَالنَّهْرُ الْعَظِيمُ ذَاتُهُ . كَانَتْ رُؤْيَا أَهْلِ الْبُلْدِ بِمَلَابِسِهِمُ الزَّاهِيَةِ فِي كُلِّ مَحَطَّةٍ تُجْعَلُهُ وَكَأَنَّهُ فِي عَالَمٍ آخَرَ ، وَلَسَوْفَ يَكُونُ هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِمَّا يَرَوِيهِ لِصَاحِبَتِهِ مِينَا ، الْفَتَاةِ الَّتِي يَتَعَرِّمُ الزَّوْجَ بِهَا .

وَفِيمَا بَعْدُ ، حِينَمَا تَحْرُكُ الْفِطَارُ نَحْوَ الشَّمَالِ ، تَغْيِرُ كُلُّ شَيْءٍ مَرَّةً أُخْرَى ، فَقَدْ كَانَتْ هُنَاكَ جِبَالٌ ، وَغَابَاتٌ كَثِيفَةٌ ، وَأَنْهَارٌ تَتَدَفَّقُ مِيَاهُهَا . وَتَمْلِكُنَّ الدَّهْشَةَ وَهِيَ يَنْظُرُ إِلَى الْفِجَاعِ تَقِفُ شَامِخَةً فَوْقَ الصُّخُورِ الْعَالِيَةِ ، وَتَمْنَى أَنْ تَكُونَ الْقَلْعَةُ الَّتِي هِيَ ذَاهِبٌ إِلَيْهَا عَلَى شَاكِلَةِ هَذِهِ الْفِجَاعِ .

كَانَ الظَّلَامُ قَدْ بَدَأَ يَرْحِفُ عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى مَدِينَةِ بِيَسْتَرِيَتِرِ الْقَدِيمَةِ الْجَمِيلَةِ ، الَّتِي تَحْتَدُّ مِنْهَا طَرِيقُ جَبَلِيَّةٍ تُوصِلُ إِلَى بُوَكُوفِينَا . وَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ ثَانِيَةُ لَيْلَتَيْنِ قَضَاهُمَا عَلَى سَفَرٍ مُنْذُ غَادَرَ بُودَابِسْتِ . وَكَانَ مِنْهُوَكَامًا عَمْدُودًا ، وَلِذَلِكَ شَعَرَ بِالْآزْيَاجِ وَالسَّرُورِ حِينَمَا رَأَى فُنْدُقَ « التَّاجِ الذَّهَبِيِّ » الَّذِي كَانَ الْكَوْتُ دِرَاكُولَا قَدْ رُتِبَ لَهُ الْإِقَامَةُ فِيهِ ، وَالَّذِي كَانَ يَتَدَوَّى مِنْ مَظْهَرِهِ أَنَّهُ فُنْدُقُ مُرِيحٍ تُشْبِعُ فِيهِ الْمَوَدَّةَ . وَصَعِدَ بِهِ مُدِيرُ الْفُنْدُقِ إِلَى غُرْفَةٍ بَهِيجَةٍ نَظِيفَةٍ تُطِلُّ عَلَى سَاحَةِ رِبِيْعَةٍ غَرِسَتْ فِيهَا بَعْضُ أَشْجَارِ الْفَاكِهَةِ .

وَبَعْدَ أَنْ اغْتَسَلَ جُونَانَانُ نَزَلَ لِيَتَنَاوَلَ الطَّعَامَ ، وَوَجَدَ عَلَى الْمَائِدَةِ الْمُعَدَّةِ لَهُ رِسَالَةً قَرَأَ فِيهَا :

غَزِيرِي الْيَدِ هَارَكِرَ ،

وَهَكَذَا قَدْ وَصَلْتَ إِلَى تَرَانْسِيلْقَانِيَا ، وَإِنَّهُ لَيَسْعِدُنِي أَنْ أَتَرَقَّبَ لِقَاءَكَ . أَرْجُو لَكَ نَوْمًا هَادِنًا اللَّيْلَةَ ، وَفِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ ظَهْرِ الْعَدِ ، سَتَرَكِبُ الْعَرَبَةَ الَّتِي حَجَزْتُ لَكَ مَكَانًا فِيهَا ، وَالْمُتَّجِهَةَ إِلَى بُوَكُوفِينَا ، فَإِذَا بَلَغْتَ أَعْلَى بُقْعَةٍ فِي الطَّرِيقِ الْصَّاعِدِ إِلَى الْجِبَالِ فَسَوْفَ تَجِدُ عَرَبَتِي فِي الْبُظَارِكِ فَتَقْلُكُ إِلَى حَيْثُ تَلْقَانِي . لَعَلَّكَ سَعِدْتَ بِرِحْلَتِكَ مِنْ لَنْدَنَ ، وَأَنَا وَاثِقٌ أَنَّكَ سَوْفَ تَسْتَمْتِعُ بِالْإِقَامَةِ فِي أَرْضِي الْجَمِيلَةِ .

صَدِيقُكَ

دِرَاكُولَا

فَلَمَّا قَرَأَ جُونَانَانُ الرِّسَالَةَ قَالَ لِنَفْسِهِ : « مَا أَكْرَمَهُ ! وَمَا أَشَدُّ مَهَارَتَهُ فِي وَضْعِ بَرْنَامِجِ رِحْلَتِي ! » وَلَكِنَّهُ حِينَمَا سَأَلَ مُدِيرَ الْفُنْدُقِ كَيْفَ وَصَلَتْ الرِّسَالَةُ بَدَأَ عَلَى الرَّجُلِ شَيْءٌ مِنْ غَدَمِ الْآزْيَاجِ ، وَتَظَاهَرَ بِأَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ لُغَتَهُ الْأَلْمَانِيَّةَ . وَعِنْدَمَا حَاوَلَ جُونَانَانُ أَنْ يَعْرِفَ مِنْهُ مَعْلُومَاتٍ أَكْثَرَ عَنْ قَلْعَةِ دِرَاكُولَا بَدَأَ عَلَيْهِ أَنَّهُ غَيْرُ رَاضٍ فِي الْحَدِيثِ ، وَكُلُّ مَا قَالَهُ إِنَّهَا تَبْعُدُ كَثِيرًا عَنْ بِيَسْتَرِيَتِرِ ، وَإِنَّهُ لَمْ تَتَّحْ لَهُ فُرْصَةٌ زِيَارَتِهَا قَطُّ .

كَانَ هَذَا الْمَسْلُوكُ غَرِيبًا ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا كَانَ جُونَانَانُ فِي طَرِيقِهِ بَعْدَ ظَهْرِ الْيَوْمِ الْتَمَّ إِلَى الْعَرَبَةِ ، كَانَ مَسْلُوكُ زَوْجَةِ مُدِيرِ الْفُنْدُقِ أَشَدَّ غَرَابَةً . فَقَدْ حَدَّثَ حِينَمَا كَانَ مُتَّجِهًا لِيَأْخُذَ مَكَانَهُ فِي الْعَرَبَةِ أَنْ جَاءَتْ إِلَيْهِ وَعَلَى وَجْهِهَا نَظَرَةٌ خَوْفٍ وَرُغْبٍ وَسَأَلَتْهُ : « الْأَبَدُ لَكَ مِنَ الذَّهَابِ ؟ »

فَتَطَلَّعَ إِلَيْهَا جُونَانَانُ فِي دَهْشَةٍ وَأَجَابَهَا : « إِنِّي لَمْ آتِ إِلَى هُنَا مِنْ إِنْجِلْتِرَا لِلتَّزْوِجِ . إِنِّي هُنَا فِي عَمَلٍ ، وَلَسْتُ أَمْلِكُ حَقَّ التَّصَرُّفِ حَسَبَمَا أُرْغَبُ ، فَهَلْ مِنْ سَبَبٍ



يَدْعُونِي إِلَى عَدَمِ الذَّهَابِ ؟

فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ وَهِيَ تَضَعُ يَدَهَا عَلَى ذِرَاعِهِ : « أَرْجُوكَ .. فَهَنَّاكَ خَطَرَ » .

وَحَاوَلَ جُونَاثَانُ أَنْ يَتَنَسَّمَ ، وَلَكِنْ الْإِتْسَامَةُ لَمْ تُطَاوِعْهُ ، فَقَالَ لَهَا : « أَيُّ خَطَرٍ يُمَكِّنُ أَنْ أُتَعَرَّضَ لَهُ ؟ إِنَّنِي ذَاهِبٌ لِزِيَارَةِ الْكَوْنَتِ دِرَاكُولَا » .

وَهُنَا بَدَأَ عَلَى السَّيِّدَةِ آتِيبَاكُ شَدِيدٌ ، وَأُخِذَتْ ثَقْوَةُ بَعَارَاتِ بُلْغَةِ غَيْرِ الْأَلْمَانِيَةِ .. لُغَةٍ غَيْرِ مَفْهُومَةٍ لَهُ . وَكَانَ هُنَاكَ آخَرُونَ عَلَى مَقَرَبَةٍ جَاءُوا لِنُحْوَاهُمَا . وَأَخِيرًا خَلَعَتِ السَّيِّدَةُ الصَّلِيبَ الْمُعَلَّقَ فِي عُنُقِهَا وَوَضَعَتْهُ حَوْلَ عُنُقِ جُونَاثَانِ ، وَبَدَأَ عَلَيْهَا وَهِيَ تَفْعَلُ ذَلِكَ مَظْهَرُ الْجِدِّيَّةِ الشَّدِيدَةِ حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَمْلِكْ إِلَّا الْقَبُولَ ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَأْلُوفِ أَنْ يَضَعَ الرَّجُلُ الْإِنْجِلِيزِيُّ صَلِيبًا حَوْلَ عُنُقِهِ ، وَكَانَ الْأَمْرُ غَرِيبًا بِالنِّسْبَةِ لَهُ .

رَكِبَ جُونَاثَانُ الْعَرَبَةَ ، وَبَدَأَ السَّائِقُ رِحْلَتَهُ ، أَمَّا جُمْهُورُ الْوَاقِعِينَ فَقَدْ أَخَذُوا يَرْتَمُونَ فِي الْهَوَاءِ إِشَارَةَ الصَّلِيبِ . وَكَانَ هَذَا آخِرَ عَهْدِ جُونَاثَانِ بِبِستْرِيتَر .

سَأَلَ جُونَاثَانُ وَعَلَى وَجْهِهِ اتِّسَامَةٌ : « هَلْ نَحْنُ بِمَعْرُضُونَ لِخَطَرٍ دَاهِمٍ ، وَمِنْ ثَمَّ نَحْتَاجُ إِلَى التَّيَاسَرِ كُلِّ هَذِهِ الْبَرَكَاتِ مِنْ اللَّهِ ؟ »

فَأَجَابَ أَحَدُ الْمُسَافِرِينَ فِي جِدِّيَّةٍ : « بَعْضُنَا قَدْ يَكُونُ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهَا » .

أَخَذَ جُونَاثَانُ يَتَطَلَّعُ إِلَى جَمَالِ الطَّيْبَةِ الْفَتَانِ ، مِمَّا جَعَلَهُ يَنْسَى — لَفْتَرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ — كُلَّ هَذِهِ الْغَرَائِبِ . وَالْحَقُّ أَنَّ الْكَوْنَتِ دِرَاكُولَا كَانَ عَلَى حَقٍّ أَنْ يَفْخَرُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَرَاضِي الرَّائِعَةِ . كَانَتْ هُنَاكَ أَشْجَارٌ مُزْهِرَةٌ ، وَحُقُولٌ مُحْضَرَّةٌ ذَاتُ بَهْجَةٍ ، وَأَكْوَاحٌ خَشْيِيَّةٌ ، وَجَدَاوِلُ جَارِيَّةٌ ، ثُمَّ هُنَاكَ الْغَايَةُ الَّتِي يَكْتَنِفُهَا الظُّلَامُ ، وَالَّتِي تَمْتَدُّ لِنُطُوقِ الْمَكَانِ .

كَانَ الطَّرِيقُ غَيْرَ مُمَهَّدٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ السَّائِقُ يَمْضِي بِالْعَرَبَةِ مُسْرِعًا ، كَأَنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يُنْهِيَ الرِّحْلَةَ بِقَدَرٍ مَا يَسْتَطِيعُ مِنْ سُرْعَةٍ . وَفِيمَا بَعْدَ ، حِينَمَا بَدَأَ الطَّرِيقُ يَتَصَعَّدُ

إِلَى الْجِبَالِ كَانَ مُضْطَرًّا إِلَى الْإِلْطَاءِ . وَارَادَ جُونَاثَانُ حَيْثُذَ أَنْ يَنْزِلَ مِنَ الْعَرَبَةِ وَيَسِيرَ عَلَى قَدَمَيْهِ بِمُحَازَاتِهَا ، وَلَكِنْ السَّائِقُ لَمْ يَسْمَحْ لَهُ ، وَقَالَ مُحَذِّرًا : « لَا ! لَا ! إِنْ أَلْذَابَتْ هُنَا خَطِرَةٌ » .

وَحِينَمَا انْتَشَرَ الظُّلَامُ انْتَابَتِ الْمُسَافِرِينَ الرُّهْبَةُ ، وَلَكِنْ السَّائِقُ زَادَ فِي سُرْعَةِ الْجِيَادِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّفُ إِلَّا لَحِظَةً رَثِمًا يُشْعِلُ الْمَصَابِيحَ . وَأَخِيرًا بَلَغَتِ الْعَرَبَةُ أَعْلَى بُقْعَةٍ فِي الطَّرِيقِ ، وَمَضَتْ فِي طَرِيقٍ لَا هُوَ مُرْتَفِعٌ وَلَا هُوَ مُنْخَفِضٌ ، وَقَدَّرَ جُونَاثَانُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هَاهُنَا الْمَكَانُ الَّذِي تَنْتَظِرُهُ فِيهِ عَرَبَةُ الْكَوْنَتِ دِرَاكُولَا .

وَفَجْأَةً أَخَذَ الرُّكَّابُ الْآخَرُونَ يُلَوِّحُونَ بِأَيْدِيهِمْ يَلْتَمِسُونَ لَهُ الْبَرَكَاتِ كَمَا فَعَلَ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَ الْفَتْدَقِ . فَهَلْ كَانَ هَذَا أَمْرًا مَأْلُوفًا ، أَمْ أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ خَطَرٌ حَقًّا ؟ ثُمَّ تَوَقَّفَتِ الْعَرَبَةُ وَانْتَظَرَتْ ، وَكَانَ كُلُّ مَنْ فِيهَا صَامِتًا يَرْتَقِبُ الْمَصَابِيحَ الْمُشْتَعِلَةَ ، أَمَّا الْجِيَادُ فَكَانَتْ تَرْتَجِفُ مُتَمَلِّمَةً .

وَبَعْدَ لَحْظَاتٍ قَالَ السَّائِقُ : « لَا تُوجَدُ عَرَبَةٌ هُنَا ، لَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ فِي الْبَيْتَارِ السَّيِّدِ الْإِنْجِلِيزِيِّ فَمِنْ الْأَفْضَلِ لَهُ أَنْ يَظَلَّ فِي الْعَرَبَةِ مَعَنَا إِلَى بَوَكُوفِينَا ، ثُمَّ يَعُودَ غَدًا ، بَلْ لَعَلَّ الْأَفْضَلَ لَهُ أَنْ يَعُودَ بَعْدَ غَدٍ » .

فَقَالَ أَحَدُ الْمُسَافِرِينَ : « أَوْ لَعَلَّ الْخَيْرَ إِلَّا يَعُودَ أَبَدًا » .

فَصَاحَ آخَرُ : « نَعَمْ ، نَعَمْ ، خَيْرٌ مَا يَفْعَلُهُ هُوَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى بَوَكُوفِينَا » .

وَلَمْ يَكْذِبْ عِبَارَتُهُ حَتَّى طَرَقَ أَسْمَاعُهُمْ صَوْتُ عَرَبَةٍ أُخْرَى مِنْ خَلْفِهِمْ . وَظَهَرَتْ أَرْبَعَةُ جِيَادٍ سَوْدٍ ، يَسُوقُهَا رَجُلٌ طَوِيلٌ يَرْتَدِي قُبْعَةً كَبِيرَةً سَوْدَاءَ ، وَكَانَتِ الْقُبْعَةُ تُخْفِي مُعْظَمَ وَجْهِهِ ، فِيمَا غَدَا عَيْنَيْهِ اللَّتَيْنِ كَانَ آخِرَارُهُمَا يَلْمَعُ فِي ضَوْءِ الْمِصْبَاحِ .

قَالَ الرَّجُلُ فِي لُغَةِ الْأَلْمَانِيَةِ سَلِيمَةٍ : « لَقَدْ وَصَلْتُ مُبَكِّرًا الْكَثِيلَةَ بِاصْدِيقِي » .



فَلَمْ يُجِبْهُ سَائِقُ يِسْتَرِيْتَر ، وَكَانَ وَاضِحًا أَنَّهُ خَائِفٌ . فَرَدَّدَ الرَّجُلُ مَرَّةً ثَانِيَةً : « لَقَدْ  
وَصَلْتُ مُبَكِّرًا اللَّيْلَةَ . »

فَأَجَابَهُ سَائِقُ يِسْتَرِيْتَر : « إِنَّ السَّيِّدَ الْإِنْجِلِيزِيَّ كَانَ مُسْتَعْجِلًا . »

فَقَالَ الرَّجُلُ : « أَظُنُّ أَنَّ هَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي أَنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَهُ إِلَى بُوْكُوْفِيْنَا . إِنَّكَ  
لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُخَفِيَ مَا يَجُولُ فِي ذَهْنِكَ مِنْ أَفْكَارٍ بِاصْدِيقِي . » قَالَ ذَلِكَ ، وَابْتَسَمَ  
ابْتِسَامَةً قَبِيحَةً ، فَظَهَرَتْ فِي ضَوْءِ الْمَصَابِيحِ أَسْنَانُهُ الْبَيضاءُ غَيْرَ الْعَادِيَّةِ .

وَمَرَّةً ثَانِيَةً لَمْ يُجِبْ سَائِقُ يِسْتَرِيْتَر بِكَلِمَةٍ ، وَإِنَّمَا قَفَرَ إِلَى الْأَرْضِ بِسُرْعَةٍ ، وَوَضَعَ





## الفصل الثاني

حقائب جوناثان في العربة الأخرى ، وهبط جوناثان من العربة ، وساعده السائق الجديد في صعود عربة . ولم يشعر جوناثان بإرتياح حينما انغرزت أصابع السائق القوية التحيلة بعمق في ذراعه .

وانطلقت عربة يستريتر ثم اختفت في الظلام . وأحس جوناثان فجأة بالوحدة الموحشة .

قال الرجل : « إن الليلة باردة ، فخذ هذا غطاء تغطي به . لقد طلب مني سيدي أن أراك خير رعاية ، وهناك رجاجة عصير تحت المقعد إذا رغبت في الشرب . »

ولم يقل شيئا أكثر من هذا ، وإنما حول مسار العربة وأطلق بها في طريق جانبي لم يلاحظه جوناثان من قبل ، وكان يمتد ليتصعد إلى أعلى الجبل .

وبينما كانت العربة تسير بهما في الليل البهيم لم يكن جوناثان في البداية يستطيع أن يرى شيئا . فقد كان الظلام حالكاً ، ولم تكن العربة مزودة بمصابيح ، وإنما كانت تطرق سمعه طوال الوقت أصوات الذئب ، فيعوي ذئب أولاً ، ثم يعوي آخر بعده ، كل يرد على صاحبه . وكانت أصواتها تتردد عبر الأودية ، وكلما مضت العربة قدما ازدادت أصواتها ارتفاعاً ، حتى بدا وكأن الذئب تحيط بهما من كل جانب . وحينما خدق جوناثان بعينه خلال الظلام رأى قطعاً من الذئب تلف حولهما كأنهما تقوم بجراستيهما . فكاث حلقة من العيون الحمر تتحرك معهما بنفس السرعة التي تتحرك بها الجياد .

ولم يكن يبدو على السائق أنه يكثر بما يراه ، ولكن الجياد كانت خائفة ، وحينما ازدادت الذئب قرباً صاح السائق فيها ، كما يصيح الكمر في كلابه .

كانت التجربة بالنسبة لجوناثان أشبه بحلم طويل مزعج ولم ينته هذا الحلم إلا حينما تغير صوت عجالات العربة ، بما دل على أنهما قد اجتازا ساحة الدار في قلعة دراكولا .

غادرت العربة المكان وتركت جوناثان واقفاً أمام باب قديم ضخم ذي دعائم حديدية . ولم يكن بالطابق الأرضي أية نافذة ، وإنما كان هناك ضوء ينبعث من أعلى المبنى مما يدل على أن القلعة لم تكن خالية من السكان ، ولم يكن هناك جرس ، ولذلك لم يكن في وسعه إلا أن ينتظر حتى يأتي أحد ليقوده إلى الداخل .

ظل جوناثان واقفاً بضغ دقائق لا تطرق سمعه إلا أصوات الذئب ، إلى أن سمع جلبة عند الجانب الداخلي من الباب ، ثم فتح الباب ، وظهر رجل طويل أسود الشعر يلبس رداء أسود ، ويُمسك في يده مصباحاً فضياً . اتسم الرجل قائلاً :

« إني أقدم إليك منزلي ، فأهلاً بك وسهلاً . ندخله حراً ونرحل منه سالماً ، وأترك لدينا بعد رحيلك بعضاً من السعادة التي جئت بها إلينا . »

فسأل جوناثان وهو يصافح اليد التي امتدت إليه : « الكونت دراكولا ؟ »

فاجاب الرجل : « أنا دراكولا . ويسرني ياسيد هاركر أن أستقبلك في منزلي . سأحمل عنك حقائبك ، فالوقت متأخر والخدم نائمون . »

وأخذ جوناثان المصباح منه ، وبعه وهو يصعد السلم ، ثم وهو يعبر من خلال حجرة فسيحة مضاءة بضوء جيدة إلى غرفة تومي . وكان سرور جوناثان بالغاً إذ وقع بصره في الحجرة التي اجتازها على مدفاة خطب مشتعلة ، ومائدة عامرة بالطعام .

لم يجلس الكونت مع جوناثان إلى المائدة معتبراً بأنه سبق أن تناول طعامه ، ولذلك ، فبينما كان جوناثان يأكل ، أخذ الكونت يطالع الرسالة التي أحضرها جوناثان معه من السيد هوكينز المحامي الممين الذي يعمل في مكتبه . وبدأ على الكونت السرور بعد أن قرأ الرسالة ، ثم أعادها إلى جوناثان لكي يطلع على الأشياء الطيبة التي



كُتِبَها هُوَ كَيْتَرُ عَنهُ .

وَبَعْدَ أَنْ تَنَاولَ جُونَاثَانُ طَعَامَهُ جَلَسَ الضَّيْفُ وَالْمُضَيَّفُ بِجَوَارِ السِّدْفَةِ يَتَحَدَّثَانِ .  
وَكَانَ جُونَاثَانُ مَسْرُورًا لِأَنَّ الْكَوْنَتَ كَانَ يَتَحَدَّثُ بِلُغَةٍ إِنْجِلِيزِيَّةٍ سَلِيمَةٍ ، كَمَا أَنَّ السَّرُورَ  
كَانَ بَادِيًا عَلَى الْكَوْنَتِ لِأَنَّهُ وَجَدَ مَنْ يَتَحَدَّثُ مَعَهُ بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ ، وَكَانَ هُوَ أَكْثَرَ الْاِثْنَيْنِ  
حَدِيثًا مِمَّا هَيَّا لِجُونَاثَانِ فُرْصَةَ التَّامُّلِ فِي وَجْهِهِ وَدِرَاسَتِهِ .

كَانَ وَجْهُهُ غَيْرَ عَادِيٍّ ، فَالْأَلْفُ قَوِيٌّ حَسَنُ الصُّورَةِ ، وَالْأُذُنَانِ مُحَدَّدَتَانِ نَائِمَتَانِ ،  
وَالشَّفَتَانِ خَمْرَاوَانِ ، وَالْأَسْنَانُ حَادَّةٌ بَيضاء . وَلَكِنَّ الشَّيْءَ الَّذِي كَانَ يَلْفِتُ فِيهِ النَّظَرُ  
بِصِفَةِ خَاصَّةٍ هُوَ ذَلِكَ الشُّحُوبُ غَيْرُ الطَّبِيعِيِّ . لَا يَدُّ أَنَّ الرَّجُلَ كَبِيرَ السِّنِّ ، وَلَكِنَّهُ ، مَعَ  
ذَلِكَ ، كَانَ يَتَدَوَّى قَوِيًّا لَشَيْطَانًا . وَقَدْ لَحَظَ جُونَاثَانُ أَيْضًا يَدَيْهِ الْاِثْنَيْنِ تَبَّتِ الشَّمْعُ فِي  
رَاحَتَيْهِمَا ، وَأَصَابِعُهُ الطَّوِيلَةُ الْحَادَّةُ الْأَطْرَافِ . وَلَمْ يَكُنْ جُونَاثَانُ يَشْعُرُ بِالْاِزْتِياجِ حِينَمَا  
كَانَ الْكَوْنَتُ يَتَحَدَّثُ فَيَلْبِسُ أَيْحِيَالًا ذِرَاعُهُ بِأَصَابِعِهِ ، كَمَا أَنَّ الرَّائِحَةَ الْكُنْبِيَّةَ مِنْ أَنْفَاسِ  
الْكَوْنَتِ كَانَتْ تُثِيرُ الْغَنَائِيانِ . لَقَدْ كَانَتْ فِيهَا رَائِحَةُ الْكُنُوتِ ، حَتَّى لَقَدْ تَسَاءَلَ فِي نَفْسِهِ :  
« تَرَى أَتُكُونُ هِيَ السَّبَبُ فِي أَنَّ النَّاسَ يَخَافُونَهُ ؟ »

وَأَخِيرًا ، خَبِمَ السُّكُونُ عَلَى الْقَلْعَةِ فِيمَا عَدَا غَوَاةَ الدُّنَابِ فِي الْخَارِجِ وَالَّذِي كَانَ لَا يَزَالُ  
مَسْمُوعًا . وَقَالَ الْكَوْنَتُ وَهُوَ يَنْهَضُ : « أَوْلَادِي فِي هِيَاجِ اللَّيْلَةِ . إِنَّ لَدُنَا بَعْضَ  
الزُّوَارِ . »

وَحِينَمَا نَهَضَ ، كَانَ ضَوْءُ الْفَجْرِ قَدْ بَدَأَ يَنْتَشِرُ ، وَهَكَذَا انْقَضَتْ أَوَّلُ لَيْلَةٍ لِجُونَاثَانِ فِي  
قَلْعَةِ دِرَاكُولَا .

كَانَ جُونَاثَانُ مُرْهَقًا مَكْدُودًا ، وَلِذَلِكَ نَامَ طَوِيلًا ، وَلَمَّا اسْتَيْقَظَ دَلَفَ إِلَى الْحُجْرَةِ الَّتِي  
تَنَاولَ فِيهَا الطَّعَامَ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ ، فَوَجَدَ طَعَامَ الْإِفْطَارِ مُعَدًّا ، وَإِيرِيْقَ الْقَهْوَةِ قُرْبَ نَارِ  
السِّدْفَةِ ، وَأَمَكَّنَهُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَنَّ يَرَى قَلْعَةَ دِرَاكُولَا عَلَى حَقِيقَتِهَا : فَهِيَ قَلْعَةٌ قَدِيمَةٌ

مَلِيَّةٌ بِالْعُبَارِ ، مَسْهُهَا الْيَلَى ، مَعَ أَنَّ إِيرِيْقَ الْقَهْوَةِ كَانَ مِنَ الذُّهَبِ .

وَحِينَمَا قَرَعَ مِنْ تَنَاولِ طَعَامِهِ نَظَرَ بَاحِثًا عَنْ جَرَسٍ يَدْفَعُهُ لِكَيْ يَعْرِفَ الْخَدْمُ أَنَّهُمْ  
يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرْفَعُوا الصُّحُوفَ . وَلَكِنَّ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ جَرَسٌ ، بَلْ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ خَدْمٌ  
عَلَى الْأَقْلَ فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الْقَلْعَةِ الَّذِي كَانَ يُمَكِّنُهُ التَّجَوُّلُ فِيهِ ، وَكَانَتْ الْأَبْوَابُ كُلُّهَا  
مَوْصَدَةً فِيمَا عَدَا بَابًا وَاحِدًا كَانَ يُؤَدِّي إِلَى حُجْرَةٍ جُلُوسٍ تُشْتَمِلُ عَلَى مَجْمُوعَةِ كُتُبِ ،  
وَقَدْ أَخَذَتْهُ الدَّهْشَةُ حِينَمَا وَجَدَ بَيْنَهَا كُتُبًا وَصُحُفًا إِنْجِلِيزِيَّةً ، فَجَلَسَ يُطَالِعُ . وَكَانَ لَا  
يَزَالُ جَالِسًا لِلْقِرَاءَةِ فِي الْمَسَاءِ حِينَمَا دَخَلَ الْكَوْنَتُ الَّذِي بَادَرَهُ بِقَوْلِهِ :

« إِنِّي مَسْرُورٌ لِأَنَّكَ عَرَفْتَ طَرِيقَكَ إِلَى هُنَا . إِنِّي ، مُنْذُ عَزَمْتُ عَلَى شِرَاءِ مَنْزِلٍ فِي  
إِنْجِلْتِرَا ، أَحَاوَلْتُ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا عَنِ الْحَيَاةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ . وَبُوسِيفَنِي أَنْ مَعْرِفَتِي بِاللُّغَةِ  
الْإِنْجِلِيزِيَّةِ كَانَتْ عَنْ طَرِيقِ الْكُتُبِ فَحَسَبُ ، وَلَكِنِّي أَمَلْتُ أَنْ أُرَدِّدَ بِهَا عِلْمًا بِالتَّحَدُّثِ  
إِلَيْكَ يَا سَيِّدُ هَارَكِر . وَلِذَلِكَ فَابْنِي أَرْجُو أَنْ تُطَوِّلَ إِفَامَتَكَ فِي قَلْعَتِي ، وَالْأَمْرُ أَنْ تَكُونَ مُتَعَجِّلًا  
فِي الْعُودَةِ . »

ثُمَّ اسْتَمَرَ يَقُولُ : « وَتَذَكَّرُ يَا سَيِّدُ هَارَكِر ، مَا دُمْتُ هُنَا ، أَنَّ الدَّارَ دَارُكَ . فَجُلْ فِيهَا  
حَيْثُ تَشَاءُ فِيمَا عَدَا مَا وَرَاءَ الْأَبْوَابِ الْمَوْصَدَةِ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّكَ ، بِالطَّبِيعِ ، لَنْ تَرْغَبَ فِي  
دُخُولِهَا . إِنَّ هُنَاكَ مِنَ الْأَسْبَابِ مَا يَدْعُو إِلَى هَذِهِ الْإِجْرَاءَاتِ ، فَتَحْنُ فِي تَرَالْسِيلْفَالِيَا ،  
وَتَرَالْسِيلْفَالِيَا لَيْسَتْ إِنْجِلْتِرَا . »

وَبَيْنَمَا كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ تَكَشَّفَتْ أَسْنَانُهُ عَنْ آيِسَامَةِ أَشْبَهَ بِآيِسَامَةِ الذُّنُوبِ ، وَاسْتَمَرَ  
يَقُولُ : « وَالْآنَ ، زُوَدَنِي بِمَعْلُومَاتٍ عَنِ الْمَنْزِلِ الَّذِي أَشْتَرَاهُ لِي صَاحِبِكَ السَّيِّدِ هُوَكِينَر ،  
وَأَحْسَبُ أَنَّ هُنَاكَ بَعْضَ أَوْرَاقٍ لِأَوْقَعِ عَلَيْهَا بِاسْمِي ، وَطَبِيعِي أَنْ تَكُونَ لَدَيَّ رَغْبَةٌ فِي مَعْرِفَةِ  
كُلِّ شَيْءٍ . »

فَرَدَّ جُونَاثَانُ : « أَوَّلًا ، أَمَلْتُ أَنْ تَجِدَ أَنَّ الْمَنْزِلَ الَّذِي أَشْتَرَيْتَهُ لَكَ هُوَ مَا كُنْتَ تَرْغَبُ  
فِيهِ فِعْلًا ، وَأَصْدُقُكَ الْقَوْلُ : إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ التَّنَوُّجِ الَّذِي يَرْغَبُ فِيهِ أَغْلُبُ النَّاسِ ، وَلَكِنَّهُ



يُطَابِقُ مَا طَلَبْتُهُ . إِنَّهُ يُسَمَّى كَارْفَاكْس ، وَمُلْحَقٌ بِهِ أَرْضٌ وَاسِعَةٌ تُعْطِي مُعْظَمَهَا الْأَشْجَارَ  
بِمَا يُضْفِي عَلَيْهَا بَعْضَ الظُّلْمَةِ . أَمَّا الْمَنْزِلُ ذَاتُهُ فَوَاسِعٌ قَدِيمٌ قَلِيلُ التَّوَابُفِ ، وَأَخْشَى أَنَّكَ  
لَنْ تَجِدَ صُحْبَةً كَثِيرَةً فِي كَارْفَاكْس ، إِذْ إِنَّهُ لَا تَوْجَدُ مَنَازِلَ كَثِيرَةً مُجَاوِرَةً . أَمَّا جَارُكَ  
الْوَحِيدُ فِي الْمِنْطَقَةِ فَهُوَ طَبِيبٌ يَتَوَلَّى إِدَارَةَ مُسْتَشْفَى لِلْمَجَانِينِ .

فَرَدَّ الْكَوْنَتُ : « إِنِّي مُسْرُورٌ لِأَنَّ الْمَنْزِلَ قَدِيمٌ ، فَلَقَدْ نَشَأْتُ فِي أُسْرَةٍ عَرِيقَةٍ ، وَلَا  
أُحِبُّ أَنْ أَقِيمَ فِي مَنْزِلٍ لَيْسَ لَهُ تَارِيخٌ ، ثُمَّ إِنِّي لَا أَبَالِي بِالظُّلَامِ . فَرَجُلٌ مُسِينٌ مِثْلِي ، يَعِيشُ  
وَحِيدًا وَيُفَكِّرُ كَثِيرًا فِي الْمَوْتِ ، لَا يُتِمِّكُنْ أَنْ يَخْشَى الظُّلَامَ . »

ثُمَّ وَقَعَ الْكَوْنَتُ بِأَسْمِهِ عَلَى الْأُورَاقِ ، وَسَارَ يَتَّبِعُهُ جُونَاثَانُ إِلَى حُجْرَةِ الْمَائِدَةِ حَيْثُ  
كَانَ الطَّعَامُ فِي الْبَيْتَارِهِمَا . وَمرَّةً ثَانِيَةً اعْتَدَلَ الْكَوْنَتُ عَنْ عَدَمِ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ عَلَى زَعْمِ أَنَّهُ  
تَنَاوَلَهُ خَارِجَ الْمَنْزِلِ .

انْقَضَتْ هَذِهِ الْأَمْسِيَّةُ وَالْأَمَاسِيُّ الثَّالِيَةُ بِنَفْسِ التَّمَطِّ ، وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ يَبْدُو غَرِيبًا ، فِي نَظَرِ  
جُونَاثَانَ ، أَنَّ يَقْضَى الْوَقْتُ بِالْخَدِيثِ فِي اللَّيْلِ ، وَالْثَوَمِ فِي النَّهَارِ ، فَقَدْ بَدَأَ لَهُ أَنَّ هَذَا هُوَ  
الْأَسْلُوبُ الَّذِي تَعُودُهُ الْكَوْنَتُ ، وَأَحْسَنُ أَنَّ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ أَنْ يَرْضِيَهُ . أَمَّا الْكَوْنَتُ فَقَدْ  
كَانَ مُسَلِّكُهُ دَمِنًا لَطِيفًا ، وَكَانَ خَدِيثُهُ دَائِمًا شَائِقًا وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ جُونَاثَانُ ، لِسَبَبٍ  
غَامِضٍ لَا يَعْلَمُهُ ، مُتَوَجِّسًا بِحَيْفَةٍ مِنْهُ . وَلَمْ يَكُنْ مَصْدَرُ ذَلِكَ هُوَ ، فَقَطْ ، بَلْكَ النَّظَرَةُ  
الَّتِي كَانَ يَلْمَحُهَا أحيانًا فِي عَيْنَيْهِ الْغَرِيبَتَيْنِ بِسَبَبِ حُمُرَيْهِمَا ، وَإِنَّمَا هُوَ ، كَذَلِكَ ،  
إِحْسَاسُهُ أَنَّ الْكَوْنَتَ لَيْسَ رَجُلًا عَادِيًا ، وَأَنَّ فِيهِ قُوَى غَيْرَ طَبِيعِيَّةٍ . وَحَانَتْ فُرْصَةٌ وَجَدَ  
فِيهَا جُونَاثَانَ بُرْهَانًا يُؤَيِّدُ هَذَا الْإِحْسَاسَ ، وَكَانَ ذَلِكَ عَقِبَ قُدُومِهِ بِخَوَالِي أُسْبُوعٍ . كَانَ  
جُونَاثَانُ يَقِفُ بِجَوَارِ الْتَأْفِذَةِ يَخْلُقُ ذَقْنَهُ وَقَدْ وَضَعَ أَمَامَهُ مِرَاةً صَغِيرَةً كَانَتْ صَدِيقَتُهُ مِينَا ،  
لِيُحَسِّنَ الْحَظَّ ، قَدْ أَهْدَتْهَا إِلَيْهِ . وَتَقُولُ « لِيُحَسِّنَ الْحَظَّ » لِأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ مِرَاةً فِي  
غُرْفَتِهِ ، وَلَا فِي أَيِّ مِنْ غُرَفِ الْقَلْعَةِ الْأُخْرَى .

وَفَجْأَةً أَحْسَنَ بِمَلَمَسِي يَدٍ ، وَسَمِعَ صَوْتًا يُخَيِّبُهُ نَجِيَّةُ الصَّبَاحِ ، فَقَفَزَ مِنَ الْمَفَاجِئَةِ ،

وَنَظَرَ فَإِذَا الْكَوْنَتُ وَقَفَ بِجَانِبِهِ . كَانَ الْكَوْنَتُ مِمَّنْ يَمْشُونَ بِهَدْوٍ ، وَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ  
يَكُونَ قَدْ دَخَلَ الْحُجْرَةَ فَلَمْ يَسْمَعْ وَقَعَ أَقْدَامِهِ ، أَمَّا غَيْرُ الْمُمْكِنِ فَهُوَ أَنْ يَدْخُلَ الْحُجْرَةَ  
وَلَا يُرَى ، وَقَالَ جُونَاثَانُ فِي نَفْسِهِ : « كَيْفَ لَمْ أَرَهُ فِي الْمِرَاةِ وَهُوَ يَدْخُلُ الْحُجْرَةَ ، ثُمَّ  
إِنَّهُ يَقِفُ الْآنَ أَمَامَ الْمِرَاةِ ، وَمَعَ أَنِّي أَرَى نَفْسِي فِيهَا فَإِنِّي لَا أَرَاهُ . »

وَبَيْنَمَا كَانَ جُونَاثَانُ لَا يَزَالُ يُحَدِّقُ فِي الْمِرَاةِ لَحَظَّ أَنَّهُ جَرَحَ ذَقْنَهُ وَأَنَّ الْدَّمَ أَخَذَ يَسِيلُ  
عَلَى عُنُقِهِ ، فَالْتَفَتَ نَحْوَ الْكَوْنَتِ مَرَّةً ثَانِيَةً لِيَتَأَكَّدَ مَا إِذَا كَانَ فِي الْحُجْرَةِ حَقِيقَةً ، فَأَصَابَهُ





الفرع وتجمد في مكانه . كان دراكولا يراقبه وكأنه حيوان جائع . وبدا وكأنه يتأهب لمهاجمته .

كان الدم في هذه اللحظة قد وصل حتى الصليب الذي قدمته له سيده الفندق ، وبدون تفكير مسح جوناثان الدم بظهر يده . وفي أثناء ذلك رفعت يده الصليب ، وإذا بوجه الكونت يتغير ويتبدو كالمجنون ، ووقف يرتعش فترة من الزمن كأنما تغالبه الرغبة في الهجوم على جوناثان ، ولكنه ، لأمر ما ، غير قادر . وفجأة تناول المرأة الصغيرة وألقاها من النافذة . ومضت لحظة سكون طويلة ، وجد جوناثان نفسه في أثنائها يحسب الوقت الذي انقضى قبل أن يسمع صوت نهشم المرأة على الصخور . أما الكونت فقد استدار إليه قائلا : « إن الشيطان أعطى الناس المرايا لكي يجعلهم متعالمين متكبرين . إنني لا أسمع بها في منزلي . » ثم قال وهو يغادر الحجرة : « حاول ألا تخرج نفسك ، فإن ذلك في بلدنا أكثر خطورة مما تتصور . »

وفي البداية ، لم يكن في وسع جوناثان إلا أن يظل واقفا ورغبة الصابون تجف على وجهه . كان عاجزا عن أن يفعل أي شيء . وتنافعت التساؤلات في ذهنه : لماذا استشير الرجل هذه الاستشارة بمنظر الدماء ؟ وأي نوع من الرجال هذا الذي لا تمكن رؤيته في المرأة ؟

ثم نظر من النافذة متطلعا إلى أسفل . إن المرأة لابد أن تكون قد هوت مئة متر قبل أن تصطدم بالأرض . ما أصعب الهروب من هذه القلعة ! ومررت بخاطره أفكار عن الأبواب الموصدة ، وأخذ يتساءل : ترى أهو زائر للكونت دراكولا ، أم هو سجين لديه ؟ أهو ضيف أم أسير ؟

### الفصل الثالث

كان جوناثان محاميا درس القانون ، وقد علمته هذه الدراسة كيف يواجه الحقائق . ومن الحقائق التي كان عليه أن يواجهها آنذاك أنه سجين من نوع ما . ولكن الموكد أنه سجين مؤقت ليضعة أيام أخرى ، وأنه إذا كان دراكولا قد أفرغه فهذا لا يعني بالضرورة أنه في خطر ، فعليه أن يخفي ما يجول في ذهنه من أفكار ، ويحاول أن يعرف المزيد من المعلومات .

وفي هذا المساء سمع خطوات الكونت وهو يدخل بعد عودته من خارج المنزل ، ولاحظ أنه لم يأت مباشرة إلى حجرة الجلوس . فمشى جوناثان بخطى خفيفة نحو باب حجرة الكونت وشاهده يرتب فراشه . وفيما بعد ، حين رآه وهو يعد بنفسه المائدة في حجرة الطعام ، اتضح له — على الأقل — أمر من الأمور : اتضح له أنه ليس هناك خدم في القلعة . لقد كان الكونت نفسه هو الذي يقوم بكل أعمال المنزل ، وهو الذي يسوق العربة . إذا ، فإن جوناثان وحده في القلعة مع دراكولا . وحده ؟ لكن لا ، ليس وحده تماما كما اكتشف بعد أيام قليلة .

\*\*\*

ومضت الأيام على وتيرة واحدة . يستيقظ جوناثان من نومه في وقت متأخر فيتناول إفطاره ، ثم يطالع في حجرة الجلوس ، وفي الليل يستمع إلى الكونت وهو يتحدث عن تاريخ أسرته وعن بلده . وكان حديثه عن أسرته أو عن بلده شيئا واجدا تقريبا ، ذلك أن أعضاء أسرة دراكولا كانوا هم المخور لجميع الأحداث التي تمثل تاريخ ترانسيلفانيا وهنا كان حديثه شائقا . وكان يروي قصصه بأسلوب يفيض بالعاطفة والمشاعر ، حتى لقد يحيل إلى السامع أنه كان مشتركا بنفسه في المعارك التي يتحدث عنها .

وفي بعض الأحيان كان يتحدث عن أشياء عادية .. عن إنجلترا .. عن القانون ..



عسى السُّقَى والقَطَارَاتِ . وكان جوناثان يأخذهُ الْعَصَبُ مِنْ كَثْرَةِ الْمَغْلُومَاتِ الَّتِي يُلْمُ بِهَا . وَكَانَ مِنْ بَيْنِ الْأَهْتِمَامَاتِ الَّتِي أُبْدَاهَا رَغْبَتُهُ فِي تَصْدِيرِ بَصَائِعِ إِيَّائِهِمْ ، وَلِذَلِكَ كَانَ يُرِيدُ اخْتِيَارَ مَدِينَةٍ سَاحِلِيَّةٍ حَيْثُ يُمَكِّنُهُ شَجَرُ الْبَصَائِعِ بِهَا مُبَاشَرَةً .

قَالَ الْكَوْنُثُ : « لَا أُرِيدُ مَدِينَةً كَبِيرَةً . فَقَدْ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مَشَقَّةٌ وَمُصِيبَةٌ لِلْوَقْتِ . فَمَاذَا تَرَى يَا سَيِّدُ هَارَكر ؟ »

فَقَالَ جوناثان : « لِمَاذَا لَا تَكُونُ هُوبِنِي ؟ »

\*\*\*

كَانَ جوناثان يُفَكِّرُ فِي مِثْلِهَا وَصَدِيقِهَا الْحَمِيلَةِ لُوسِي ، إِذْ كَانَتَا تَعْتَزِمَانِ الدَّهَابَ لِقِصَاءِ الْعَصَةِ فِي بَيْتِ مَدِينَةِ الْقِدْعَةِ الْكَرَّامَةِ الَّتِي تَقَعُ فِي الشَّمَالِ الشَّرْقِيِّ ، وَاسْمُهَا سِتْهَرُ . صَدَقَ الْأَسْمَاكُ حَدِيثَهُ جوناثان عَنِ الْمَدِينَةِ وَعَنِ صَاحِبِهَا مِثْلًا ، وَبَدَأَ عَلَى الْكَوْنُثِ لَاحِظًا وَأَكْرَصًا ، فَقَدْ كَانَتْ هُوبِنِي مُلَاحِظَةً لَهُ ، وَأَغْرَبَ كَذَلِكَ عَنْ سَعَادَتِهِ أَلْبَابَهُ بَعْدَهُ جوناثان عَلَى الْوَرَاكِ . وَنَسِيَ سَهْ أَطْيَبَ الْأَمْسَاتِ .

وَقَدْ سَرَّ جوناثان مَا رَأَاهُ فِي أَهْتِمَامِهِ بِرَوَاحِهِ ، فَأَخْرَجَ صُورًا جَوَافِرَةً سَمِيحًا وَوُوسِي ، وَكَسَمَ الْكَوْنُثُ حِينَ شَاهَدَ الصُّورَ ، وَقَالَ : « يَا هُمَا مِنْ هَاتَيْنِ حَمِيدَتَيْنِ ! »

وَقَدْ بَصُرَ الْعِمَارَةَ بِطَرِيقَةٍ جَعَلَتْ جوناثان يَأْسُفُ لِنِسْرَتِهِ فِي إِطْلَاعِهِ عَلَى الصُّورِ ، ثُمَّ قَالَ الْكَوْنُثُ :

« صَدِيقُكَ الْأَسَدُ مِثْلًا مِنْ كَلْمُوكَ أَنَّهَا تَزْعَبُ فِي مَغْرَفَةِ أَخْبَارِكَ ، وَكَذَلِكَ السَّيِّدُ هُوكِينَرُ . هَلْ كُنْتَ إِلَيْهِمَا مُنْذُ قَدُومِكَ ؟ »

فَأَجَابَ جوناثان : « لَا . لَمْ تُنْخِ سِي الْفُرْصَةُ ، لَكِنِّي أَنْعَمْتُ دُبَّةَ رَسَائِلِ »

قَالَ الْكَوْنُثُ : « إِذَا هَاجَتْ أَلَا يَصْدِيقِي الْغَرِيرِ . اكْتُبْ إِلَى السَّيِّدِ هُوكِينَرِ وَأَخْبِرْهُ أَنَّكَ »

سَوْفَ تُقِيمُ مَعِيَ شَهْرًا آخَرَ . »

فَمَا بَدَأَ سَمْعَ جوناثان كَلَامَهُ حَتَّى خَمَذَ الدَّمُ فِي عُرْوَقِهِ ، وَقَالَ : « أَتُرِيدُنِي أَنْ أَقِيمَ هُنَا مَا كَفَرَهُ الطُّوبَى ؟ »

فَأَجَابَ الْكَوْنُثُ : « آمَلُ ذَلِكَ . لَقَدْ بَعَثْتُ لِتَرْغَى أَعْمَالِي ، وَأَعْمَالِي تَتَطَلَّبُ مِنْكَ أَنْ تَحِبَّ هُنَا مَقَرَّهُ طَوِيلَةً . »

وَهُنَا ، أَحْسَنُ جوناثان — أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يُحْسِنُ مِنْ قَبْلُ — أَنَّهُ أَشْبَهُهُ بِالسَّحَابِ . قَالَ : « كَيْفَ اسْتَطَعْتُ أَنْ أُوَاصِلَ الْحَيَاةَ فِي هَذِهِ الْقَلْعَةِ بِمُدَّةِ شَهْرٍ آخَرَ ؟ وَمَعَ هَذَا ، مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَفْعَلَ ؟ إِنْشِي أَعْمَلُ بَدَى السَّيِّدِ هُوكِينَرِ ، وَالْكَوْنُثُ دَرَاكُولًا يَدْفَعُ جُرْأِي فِي مَنَاحِي خَدَمَاتِي . »

وَنَسَمَرَ الْكَوْنُثُ يَقُولُ : « إِنْشِي أَطْلُبُ إِلَيْكَ أَلَّا تَكْتُبَ فِي رَسَائِلِكَ إِلَّا مَا يَمَسُّ الْعَمَلَ . مَعَ آسِئْتَاؤِ مَا تَقُولُهُ مِنْ إِيَّاكَ بِخَيْرٍ . »

ثُمَّ دَوَلَ جوناثان أَوْرَاقًا وَطُرُوفًا لِكِتَابَةِ الرِّسَائِلِ . وَكَانَتْ الطُّرُوفُ مِنَ الرِّقَّةِ وَالشُّعَافِيَّةُ حَيْثُ يُمَكِّنُ أَنْ يَقْرَأَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الرِّسَالَةِ مِنْ خِلَالِ الظَّرْفِ .

\*\*\*

وَهَكَذَا حَدَسَ جوناثان ، وَكُنْتُ يَصْنَعُ رَسَائِلَ لَا تُنْصَبُ أَيُّ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي كَانَ يَدَّ لَوْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَكْتُبَ عَنْهَا . وَأَحَدُ الْكَوْنُثِ الرِّسَائِلِ ، وَقَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ قَالَ : « دَعْنِي أُخْبِرُكَ بِاصْدِيقِي الْكَثَّابِ ، إِذَا عَادَرَتْ هَذِهِ الْحُحُورَاتُ وَذَهَبَتْ إِلَى أَيِّ حُرٍّ آخَرَ مِنْ أَمْنِهِ ، فَلَا تُسْأَلُنَّ لِسُوءِ هَذَا . إِنَّ الْقَبْعَةَ قَدِيمَةٌ ، وَقَدْ وَقَعَتْ أُحْدَاثٌ غَرِيبَةٌ هُنَا ، وَمِنْ أَلْحَمَلِ أَنْ تَرَى أَحْلَامًا مُزَعِجَةً ، أَمَّا فِي حُجْرَتِكَ فَإِنَّكَ لِي مُأْمَنٌ . »

فَقَالَ جوناثان فِي نَفْسِهِ : « فِي مَأْمَنٍ ؟! كَيْفَ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَكُونَ أَمِنًا وَأَنْتَ هُنَا ؟ »

\*\*\*



هبط جوناثان إلى حيث الكلب الذي يؤدي إلى ساحة الدار . كان الكلب موصداً كالعادة ، ولأنه أن يكون المفتاح في خجرة الكونت . وكانت هناك خجرة صغيرة أو اثنتان غير موصدين ، ولكن أيًا منهما لم تكن تؤدي إلى أي مكان . ثم لاحظ أن هناك باباً في نهاية دخليق قصير . وقد بد في نادى الأمر أنه موصد ، ولكنه كان في الحقيقة ساقطاً ومُسنداً إلى الأرض ، فاستطاع جوناثان أن يرفعه ثم يدفعه لينفتح قليلاً بما يكفي لكي يعبر من خلال الفتحة . ثم أخذ يحسب طريقه ويصعد سلماً مظلماً حتى وُجد نفسه في خجرة بهيجة تضيئها أشعة القمر ، وتوقع أن تكون محاورة لخجرة نومه . وبدا مما فيها من أدب أنها رُمت كانت تستخدمها سيدات القنعة منذ زمان طويل .

ومد جوناثان رأسه من النافذة مُتمتعاً باستنشاق هواء الليل . وكان وحوده في خرج آخر من أخراء القلعة يشعر أنه قد آتصر على دراكولا بفص الانصار . وفي هذه اللحظة سمع صوتاً من أسفل . وأدرك أنه أن هناك شخصاً ما يطل من دونه . ونظف صوته فلم يستطع أن يرى ألوجه ، ولكنه أدرك أنه لا بد أن يكون الكونت دراكولا . وسره أن دراكولا لم يكتشف وحوده ، ولكن سرعان ما تحول اسرور إلى خوف ، فحركة فحائية كال جسم دراكولا كنه يتر خارج النافذة ، وبدأ يهبط على الحدار ورأسه إلى أسفل كمثل ذبابة تذب هابضة على حدار . وكانت أصابع يديه وقدميه تشبث بكل مراع بين الأحجار ، وحواس ثوبه ترتفع حول حسده إلى أعلى كدنها الخسفة . وهكذا أخذ يهبط حتى انتهى حلال الظلال عند أسفل جذر القلعة .

كاد جوناثان يغشى عليه من المروع ، ولم يكن في أول الأمر قادراً على التفكير أو التصرف بأية صورة . ما هذا الدراكولا ؟

وأخيراً تبين أن الذي كان ينسبه حول عنقه قد أشتبك بقطعة من حديد النافذة فسقط خارجها . ووجد في حطبه أن لهذا الصليب قوة تفهر دراكولا . أما الآن وقد فقد الصليب ، فقد شعر بالضعف والوهي ، فتمدد فوق سرير في مواجهة النافذة متصرفاً أن يعود إليه قوته .

أما الذي حدث بعد ذلك فقد كان من الغريبة بحيث يُمكن أن يكون حُلماً من الأحلام . ذلك أنه — مع أن عتيه مُعصناي — كان على يقين من أنه ليس وحيداً في الخجرة . كانت هناك ثلاث فتات يرتفن من جلال الظلال ، ويتحدثن في همس ، حسب تحرك خارج الطلاب إلى حيث ضوء القمر رأى ، من خلال عتيه بصيف مشوحش ، أن الثلاث جميعهن كن خميلات فاتات . وعندما صجكن كشف ضوء من عن شباب صوبلة بصر .

عندما أردد منة قرأ استطاع أن يرى الأتهار في عيوبهن الحمر . وأن يستمعه في نسهن . وفي الصرقة التي أظفر بها صجكاهن . لقد كن شربرات فاعتره الدغر . هن ، ولكن شيئاً ما — في نفس ألوف — جعله يشاركهن في الأتهار ويرغب في أن . من منة

بما تأسس منهن أحراً تدفعن الثانية الكشقره بخوه ، فتقدمت وأبحث بجوار السرير . بعد حده ملاصف لحده . وأحسن جوناثان أنفاسها في عتيه كما أحسن أن يستن من أنسائها بلمسان بشره وتستقران لطيف فوقها . فاعمص عتيه ، وانتظر ما . وهو عتر قادر على الحركة ، بل غير راعب فيها .

\*\*\*

كان ما حدث بعد ذلك أشبه بما يحدث وسط عاصفة هوجاء . فقد أحسن أن . موت موحود في الخجرة . أحسن به حتى قتل أن يرى بذه وهي تطبق على عتي الفتاة من حوار سريريه ويقذف بها عر الخجرة . كان عصيان عصاً لم يشهده من قبل . أن . جهه في صخرة الموت . كانت عتيه يتبع منهما الشرر ، وكان جسده كله يرتجف أرجافاً .

صاح الكونت : « كيف نخروا على منسه ؟ كيف نخروا على عصيان أوامري ؟ » . فحدث : إحداهن . إنك لا تستطيع أن تفهم . إنك لست امرأة . ثم أخذ جميعاً صجكن



فصاح الكوئت : « ألم أقل لكم ألا يقترب أحد مني ؟ »

فأجابته أخرى : « سيدي ، لقد كان يرقد هنا . ماذا كنا نستطيع أن نفعل ؟ »

فقال دراكولا : « هذا الرجل لي وأخدي ، وإلى أن أصبح في غير حاجة إليه ، فحينئذ وحسب فقط .. » ولم يكمل دراكولا عارته ، ولكن مغاها كان واصحا لجوانان وسألت ، خدي القست وهي شغفر إلى كليس الذي كان يحوار قدمي دراكولا . « إذا أرن نحصل على شيء الليلة ؟ »

وإذا بالكيس ينحرف فوق الأرضي وتخرج منه صيحات كصيحات الأطفال فدفع دراكولا الكيس مقدمه غير الحجرة إليهم ، فأنكفأ عليه مثل الحيوانات آخاتية ، على حين أحدث الصيحات من داخل الكيس يغو ثم تغلو . وإذا بصاحب يغشى الحجرة ، وعلب على جوانان نعاين ثم استطع أن يقاومه ولكن مير قلعة دراكولا سم يغد بالنسبة له سرا فقد كانت تب مصاصي دماء





حيما استيقظ جوناثان وحده نفسه فوق سريره في حجرة ، فهل كان الأمر مجرد حلم ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فلماذا إذا يرى ملابس غير مألوفة طيفا للضام المألوف ؟ ولماذا يرى ساعته في غير مكانها المألوف ؟

ارتدى جوناثان ملابس وبرل إلى كتاب المؤدي إلى مخزنه الآخر من القنعة الوحده موصدا ، لا بطريقة عادية ، وإنما قد أوصد في غضب وعنف حتى إن بعض قطع من الحذر قد تساقطت . إذا ، فإنه لم يكن حُلما

وفي المساء لم يشر الكونت بأي كلمة إلى هيئة الخاصة ، ولكنه خرج ورقا مكتوبة ، وكتب من جوناثان أن يكتب ثلاث رسائل إلى ميا ، يقول في أولها إن عمله قد انتهى ، وأنه سوف يعود في خلال أيام قليلة ، ويقول في الثانية إنه سيعود في صباح اليوم التالي ، ويقول في الثالثة إنه عادر القنعة ووصل إلى بيستريتر

قال الكونت : « إن تريد بطيء ، ولا أريد لأصدقائك أن يظنوا أن شئ قد حدث لك ، وسوف أبعث بهذه الرسائل في الوقت المناسب ، وبعدت يعرفون متى سوف يوصلون ميعاد وصولك . »

قال جوناثان في نفسه : « هل أميك إلا الطاعة ؟ إني تحت رحمته تماما ،

وبدا اليوم الذي بداية طيبة ، فقد استيقظ على صبح أصوات .. أصوات رجال عاديين ، فخرج إلى ساحة الحرة المائدة وأطل منها ، فشهد بعض العجر في ركن من أركان ساحة الدار وهم يملكون من عربة نقل صديق حشيشة طويلة . وكان وقوع بصره على أناس عاديين — حتى ولو كانوا من أولئك العجر الترانسيفانيس الحفاة — مما يبعث في النفس الأمل ، فهاها — في ساحة الدار — رجل ضيقا رثما يستطعون أن يخلصوا

رسالة منه إلى العالم الخارجي . وجرى إلى غرفته ليخبر أوزقا من خفيته ، ولكن أين حبيبته بما فيها من بطاقات وتعود ؟ أين حلتها التي كان يرتديها وقت السفر ؟ أين مغطاه ؟ كل ذلك قد انتهى ترى أي شر حديد كان دراكولا يديره له ؟

وعندما عاد إلى القاعة كان العجر قد دخلوا ، ولكنه ظل طوال اليوم يسمع أصوات حفر في القنعة . وتأكد له أن هناك شيئا يحدث ، فما هو ؟ وبكى يتهدي إلى هذا الشيء لم يكن أمامه إلا أن يراقب الكونت . وفي المساء جلس بحوار باقة عرفة نومه في انتظار سماع صوت أصابع اليد وأصابع القدمين وهي تنشت بأحجار

وما كادت الشمس تغيب حتى سمع هذا الصوت ، وكان دراكولا قد خرج من بعده ، وبدأ يتحرك إلى أسفل الحدار كما فعل في الليلة السابقة ، مع هارب واحد ، فقد كان في هذه المرة يلبس ملابس جوناثان .

وبدا كل شيء واضحاً أمام جوناثان ، فالكونت ينوي أن يدع الناس يزورته في بيستريتر مستون أنه جوناثان ، ويقوم بإرسال الرسائل منها ، ومن ثم ينفذ الذين يتفقونها أن جوناثان في طريقه إلى بلاده . وكان لابد لجوناثان أن يهرب ، ولابد أن يحصل على مفتاح . وبكى يفعل ذلك فلان أن يجد وسيلة لدخول حجرة الكونت .

وكانت هذه الحجرة تقع تحت حجرة تماما ، وهو يستطيع أن يتدلى بحبل إليها ، من أين الحبل ؟ لم يكن الكونت ليترك مثل هذه الأشياء في متناول رثيره ، فأخذ الحبل منظر فيما حوله . وكانت الحجرة ذات ستائر طويلة ، ففكر أنه يستطيع أن يترغ مصيب الحاسي لمير الذي سدئ منه الستائر ، ثم يثبت طرفه في الحدار على حاشي هذه . ومن ثم تصنع السدرة مدلاة حتى باقة الكونت . ويستطيع — بعد أن يتسلق البقة — أن ينشت بأطراف أصابع رجليه فيما بين أحجار الجدار من فراغات واسعة ، ومن ثم يهبط إلى حجرة الكونت . وقد يكون في هذه المعامرة شيء من الخطر ، ولكنه أمر لابد منه .



لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَفْعَلَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، فَلِلَّيْلِ مُحَاطَرَةٌ فِي هَذِهِ الْقَلْعَةِ . وَفَوْقَ ذَلِكَ ، فَمِنْ الْمُمْحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ الْكَوْتُ قَدْ أُحْدِ الْمِفْتَاحُ مَعَهُ ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِي نَفْسِهِ : « لَا بُدَّ أَنْ أُنْتَظِرَ حَتَّى الْغَدِ . فَالْكَوْتُ دِرَاكُولَا لَا يَظْهَرُ كَثِيرًا فِي الصَّبَاحِ ، وَيَتَدَوَّى أَنَّهُ بِنَاحِ هَذِهِ الْفَتْرَةِ . وَلِذَلِكَ فَالْصَّبَاحُ هُوَ الْوَقْتُ الْمُنَاسِبُ . »

عِنْدَمَا جَسَّ جُونَاثَانُ عَلَى حَافَةِ الْهَادَةِ مُتَمَسِّكًا بِاسْتَارَةِ كَانِ يَتَمَشَّى لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْمَكَانِ ( وَنَمَّ تَكُنْ هَذِهِ هِيَ الْفَتْرَةُ الْأُولَى الَّتِي نَمَّى فِيهَا هَذِهِ الْأُمِّيَّةُ مِنْذُ وَقَدْ إِلَى قَلْعَةٍ دِرَاكُولَا ) وَلَكِنْ الْأُمُورُ سَارَتْ كَمَا يَشْتَهِي وَلَمْ يَنْصَرِ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى كَانِ قَدْ اسْتَقَرَّ وَاقِعًا فِي حُجْرَةِ الْكَوْتُ

وَتَسَاءَلَ جُونَاثَانُ فِي نَفْسِهِ : « أَهَذِهِ حُجْرَةُ الْكَوْتُ حَقًّا ؟ إِنَّهَا تَتَدَوَّى كَأَنَّ لَمْ نُسْتَعْدِمُ مِنْذُ سَوَاتِرَ ، فَالْغِيَارُ الْكَثِيفُ يُعْطِي كُلَّ مَا فِيهَا حَتَّى مَخْمُوعَةً مِنَ الْقُودِ الذَّهَبِيَّةِ كَانَتْ فِي أَحَدِ الْأَرْكَانِ . وَمِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ الْمِفْتَاحَ لَيْسَتْ هُنَا . فَيَا تُرَى هَلِ الشَّرُّ عَلَى هَذِهِ السَّلَالِمِ الْحَمْرِيَّةِ يُؤَدِّي إِلَى عُرْفَةِ الْكَوْتُ الْحَقِيقَةِ ؟ »

وَشَرَعَ يَهْتَظُّ السُّلَمَ ، فَإِذَا بِهِدِ كَرَانِحَةُ الثَّرَابَةِ الْعَرِيَةِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ انْتَبَعَثَتْ مِنْ نَفَاسِ دِرَاكُولَا تَرْكُمُ أَثْمَةً ، وَكُلَّمَا آرَدَادَ تَقَدُّمًا ، آرَدَادَتِ الْكَرَانِحَةُ قُوَّةً وَحُتًا كَمَا لَوْ كَانَتْ تَتَبَعُ مِنْ حُجْرَةِ ثَعْلَبِ .

وَأَخِيرًا انْتَهَى إِلَى عُرْفَةِ دَاتِ أَرْضِيَّةٍ تُرْبِيَّةٍ ، يَتَسَرَّبُ إِلَيْهَا الصَّوْتُ مِنْ هَادَةِ صَغِيرَةٍ عَالِيَةٍ . وَهُنَاكَ فِي أَفْصَى الْعُرْفَةِ كَانَتْ تُوحِدُ الصَّادِيقُ الَّتِي أَخْصَرَهَا الْكَعْبُ ، وَالَّتِي تَتَدَوَّى أَنْحَسِينَ حَتَّى وَقَفَا . وَكَانَتْ كُنْهَا مَخْمُوعَةً بِالشَّرِّ ، « عَلَى مَقَرِّهِ مِنْهَا صُنْدُوقُ أَحْمَرٌ قَدْ قَامَ مِنْ بَقِيَّةِ الصَّادِيقِ . »

كَانَتْ أَشْعَةُ شَمْسِ الصَّبَاحِ ، الَّتِي بَدَأَتْ تَتَسَرَّبُ عِنْدِيْدٍ مِنَ الْهَادَةِ ، تَقَعُ عَلَى هَذَا الصَّنْدُوقِ . وَكَأَنَّمَا كَانَتْ الشَّمْسُ تُرْشِدُ جُونَاثَانَ إِلَى الصَّنْدُوقِ عَائِثَةً إِلَيْهِ ، وَنَظَرَ فِي دَاخِلِهِ . وَكَانَتْ نَظَرَةً وَاحِدَةً فِيهَا الْكِبَالَةُ ، لَكِنِّي يَتَدَفَعُ إِلَى الْوَرَاءِ وَيُطْلِقُ صَنِحَةً مُدَوِّيَّةً



كان دراكولا ينام مُمتدًا على سرير من ثراب ، وَلَمْ يَكُنْ وَجْهَهُ شاحناً ياهناً كما كان من قُتْل ، وإِثْمَا كان أُخْمَر دَاكِنَا ، وَلَمْ يَكُنْ شَعْرُهُ أَسْوَدَ كما عَهِدَهُ ، وإِثْمَا كان زَمَادِيًا عَظِيمًا . وكان الدَّم يسيل من حَاجَتَيْ فَمِهِ مُنْخَدِرًا إلى عُنُقِهِ وَمِنْ ثَمَّ إلى مَلَاسِيهِ . كان جِسْمُهُ كَنُةٍ مُنَوَّرَةٍ بِالدَّمَاءِ الَّتِي تَنبَعثُ رَائِحَتُهَا ، أَمَّا وَجْهُهُ فَقَدْ كَانَتْ تَبْدُو عَلَيْهِ بَطْرَةً الْخَيَاطِ الْمُنَوَّحِشِ الَّذِي قَتَلَ فَرِيستَهُ ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا حَتَّى بَشِمَ وَلَمْ يَعُدْ يَسْتَطِيعُ الْمَرِيدُ .

كَانَ عَلَى جُونَانَانَ أَنْ يَزْعِمَ نَفْسَهُ إِزْعَامًا عَلَى أَنْ يَلْبَسَ هَذِهِ الْحَقِيبةَ الذَّمِيَّةَ الَّتِي هِيَ جِسْمُ دِرَاكُولَا . وَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ ، لَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِهِ أَنْ يُعَادَرَ السَّكَاةَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُعْتَشَّ فِي خِيُوبِهِ بِخُتَا عِي الْبِفَتَاحِ ، وَلَكِنْ خِيُوبُهُ كَانَتْ حَالِيَةً . لَقَدْ كَانَ دِرَاكُولَا مِنَ الدُّكَاءِ بِحَيْثُ لَا يَدْعُ نَفْسَهُ تَقَعُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْبِصِيْدَةِ .

لَقَدْ أَرَادَ جُونَانَانَ — لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي حَيَاتِهِ — أَنْ يَرْتَكِبَ خَرِيعةً قَتَلَ لَكِنِّي بِقَصِي عَلَى هَذَا الشَّيْءِ الْبَعْضِ الَّذِي يَرْقُدُ فِي صُدُوقِهِ . وَنَظَرَ حَوْلَهُ فَرَأَى حَجَرًا ثَقِيلًا كَانَ قَدْ سَقَطَ مِنَ الْجِدَارِ ، فَأَخَذَهُ وَرَفَعَهُ إِلَى مَا فَوْقَ رَأْسِهِ ، وَلَكِنَّهُ تَرَاجَعَ فَتَرَكَهُ يَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ . لَقَدْ رَأَى أَنَّهُ لَيْسَتْ هُنَاكَ خَدَوِي مِنْ مُحَاوَلَةِ قَتْلِ شَيْءٍ لَا يُعْكِسُ أَنْ يُقْتَلَ . لَقَدْ كَانَ وَاثِقًا أَنَّ مَصَاصِي الدَّمَاءِ لَا يَمُوتُونَ كَمَا يَمُوتُ النَّاسُ الْعَادِيُّونَ .

عَادَ جُونَانَانَ إِلَى خُحْرَتِهِ ، وَارْتَمَى فَوْقَ سَرِيرِهِ فِي حَالَةٍ مِنَ الْيَأْسِ الْمَرِيرِ . هَا هُوَذَا الْآنَ فِي مَوْقِفٍ غَرِيبٍ . لَيْسَ مَوْقِفٌ سَجِيحٌ مَصْاصِي الدَّمَاءِ — حَيْثُ لَا حَوْلَ لَهُ وَلَا حَوْلًا — فَحَسْبُ ، وَلَكِنْ هُنَاكَ مَا هُوَ أَسْوَأُ مِنْ ذَلِكَ . لَقَدْ كَانَ يُقَدِّمُ مُسَاعَدَةً جَمَّةً ، لِمَصْاصِي الدَّمَاءِ لَكِنِّي يَجِدُ دَمًا خَدِيدًا فِي بَلَدٍ آخَرَ .

وَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ طَهَرَ الْكَوْنُوتُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَعَوَّدُ أَنْ يَظْهَرَ فِيهِ . وَلَمْ يَكُنْ أُخْمَرُ النَّوْبُ أَوْ مَتَوَرَّمُ الْحَسَمِ كَمَا كَانَ يَتَوَدَّ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ : قَالَ الْكَوْنُوتُ :

« اللَّيْلَةُ يَا صَدِيقِي لَا بُدَّ أَنْ يُودَّعَ كُلُّ مَا صَاحِبُهُ ، فَسَوْفَ تَعُودُ عَدَا إِلَى بَلَدِكَ ، وَأَنَا أَيْضًا سَأَقُومُ بِرَحْلَةٍ . وَفِي الصَّبَاحِ سَوْفَ تَأْخُذُكَ غَرَّتِي إِلَى طَرِيقِ يَسْتَرِيَتِرْ حَيْثُ تُصَلُّ إِلَيْهَا

فِي مَسَاءِ الْعَدَدِ . وَآمَلُ أَنْ أُرَاكَ مَرَّةً ثَانِيَةً فِي قَعَةِ دِرَاكُولَا »

فَسَأَلَ جُونَانَانَ : « لِمَاذَا لَا أَذْهَبُ اللَّيْلَةَ ؟ »

فَأَجَابَ الْكَوْنُوتُ : « لِأَنَّ غَرَّتِي مَشْغُولَةٌ بِاللَّيْلَةِ بِاسْتِثْدَى الْعَزِيزِ . »

قَالَ جُونَانَانَ : « وَلَكِنِّي أَسْتَطِيعُ السَّيْرَ عَلَى قَدَمِي . إِنِّي أُرْغَبُ فِي الرُّحِيلِ الْآنَ . »

قَالَ الْكَوْنُوتُ : « وَحَقَائِيكَ ؟ »

قَالَ جُونَانَانَ : « لَا يَهْمُنِي أَمْرُ حَقَائِي ، وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أُرْسَلَ فِيمَا بَعْدَ مِنْ يَأْخُذُهَا »

فَاتَّسَمَ الْكَوْنُوتُ قَائِلًا : « تَعَالِ مَعِي . بَلْتُ سَنُتَقَى فِي مَرْبِي سَاعَةً أَكْثَرَ مِنْ ثَرِيدٍ ، وَأَنَا أَنِّي حَرِيرٌ لِرَحِيلِكَ وَحَزِينٌ لِرَغِيَّتِكَ فِي التَّعْجِيلِ بِالرُّحِيلِ . »

وَمَضَى الْكَوْنُوتُ وَجُونَانَانَ يَتَّبِعُهُ إِلَى أَسْفَلِ السُّلَّمِ حَيْثُ الْبَابُ الْكَبِيرُ . قَالَ لِحُونَانَانَ : « أَصْبَحْ . »

وَإِذَا بِأَصْوَاتِ دَنَابٍ كَثِيرَةٍ تَنَبَثَتْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْهُمَا . وَكَأَنَّمَا انْتَعَثَتْ هَذِهِ الْأَصْوَاتُ بِمُحَرَّدٍ أَنْ رَفَعَ دِرَاكُولَا يَدَهُ ، ثُمَّ شَرَعَ يَفْتَحُ الْبَابَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ مُوَصَّدًا إِلَّا قَلِيلًا . وَلَمْ يَكُنْ يَفْتَحُ قَلِيلًا حَتَّى عَدَتْ أَصْوَاتُ الدَّنَابِ . وَأَسْتَطَاعَ جُونَانَانَ أَنْ يَرَاهَا . هِيَ تَبْتُ هُنَا وَهُنَاكَ وَأَتَوَافَاهَا الْكُسْعُطُشَةُ الْخَمْرَاءُ مَفْعُورَةٌ عَلَى أَجْرِهَا ، وَأَسْتَمَرَ الْبَابُ يَفْتَحُ شَيْئًا فَشَيْئًا . وَأَذْرَتْ جُونَانَانَ أَنَّهُ لَا يَقِفُ فَاصِلًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدَّنَابِ اشْتَرَسَةِ الْحَاجَّةِ إِلَّا الْكَوْنُوتُ . وَبَدَأَتْ الْهَوَاحِشُ فِي نَفْسِهِ أَهْدَاهُ الَّذِي كَانَ الْكَوْنُوتُ يُدِيرُهُ « أَنْ يُقَدِّمَهُ طَعْمًا سَائِعًا لِهَذِهِ الْخَيَاطَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَذْهَبُ وَتَحْيِي كَأَنَّهَا حَذَمَ ، وَالَّتِي يُسَمِّيهَا الْكَوْنُوتُ « أَوْلَادَهُ » ؟

وَأَخِيرًا صَاحَ جُونَانَانَ : « أَتَعْلِقُ الْبَابَ . سَأَنْتَظِرُ حَتَّى الصَّبَاحِ . »

نَطَقَ بِالْعِبَارَةِ وَهُوَ يُدِيرُ رَأْسَهُ لِكَيْلَا يَرَى دِرَاكُولَا دُمُوعَهُ الَّتِي لَمْ يَسْتَطِيعْ أَنْ يَمْنَعَهَا .



## الْقِسْمُ الثَّانِي هَوَيْشِي

### الفصل الخامس

كانت ميا موراي تخلص في مقعدها تنقطع إلى البحر وقد أمسكت رسالة في يدها وكانت صدقتها لوسي وسترا تخلص بحوارها وهي تقرأ كتاباً . ولم تكن تلحظ نظرة على التي هي غيبي مسا .

كانت ميا حاملة حملة ، ولكن لوسي كانت أكثر جمالاً . كانت ذات جمال قديم ، رشيقة الأقوام ، ذات شعر طويل أشقر ، وشرة صافية منسأة . ولذلك لم يكن عريفاً أن يقع كثير من الشبان في عرامها ، ولو أنها لم تكن تميل حقاً إلا إلى أنثي فقط ، أحدهما طيب شاب ماهر يدعى حاك سيوارد ، كان يتولى الإشراف على مستشفى للمحاربين على مقربة من المنزل الذي نقيم فيه في مشارف لندن . والآخري يدعى آرثر هولموود ، وهو ابن أحد اللوردات . وأخيراً استقر اختيار لوسي على آرثر ، ومع أنها كانت تحب حاك سيوارد كثيراً فإنها رأت أن ما يتصف به من جدية ووقار لا يتفق مع ما تتصف هي به من حب التمرح والدعابة . ثم إنها لم تثنأ أن تقضي بقية حياتها في دهر للمحاربين فوق هذا فإن آرثر هو الذي كان يستأثر بحبها الحقيقي . وكان من الطبيعي أن يشغل الدكتور سيوارد بالآخر ، ولكنه كان يحب آرثر هولموود ، ولذلك فقد استقر رأيه في النهاية على أنه إذا لم يكن قد استطاع أن يطمس لوسي روحه له فبأنه — على الأقل — يستطيع أن يظل صديقاً لها . وقال في نفسه : « من يذري ، ربما نحتاج يوماً ما إلى صديقي يحبك . »

وإذا كانت لوسي حاملةً مسلميةً نقيضاً بالحيوة ، فإن ميا هي التي كانت تدبر كل شيء دائماً . فهي التي تولت حجز الغرف التي سوف نقيم فيها في هويشي ، واشترت التذاكر للرحلة ، واتخذت كذلك الترتيبات لإم لوسي لكي تسحق بهما فيما بعد ، فقد كانت السيدة وسترا — والدة لوسي — مريضة بالقلب ، ورأت ميا أن قصاء أيام على

أما دراكولا فقد صعد كتاب بشدة ، وأحدث أصواتاً مدثاب مخففة بعداً . وحالاً  
الفتاة من حوائط إلى الوراء وهو يصعد السلم عائداً ، فإذا ألكونت بصحك بلا صوت .

بعد نصف ساعة سمع حوائط أصوات خويل ، وعاء العحر في ساحة الدار ونطلع  
من نافذته فرأى عربة النقل محممة بالعصاديق الحشنة ، وأدرك أن دراكولا كان في واحد  
منها . في طريقه إلى إنجلترا .

وطمأن حوائط إلى أنه سوف يكون في صبيحة اليوم التالي حراً في معدنه القلعة .  
وكان يعلم أنه لن يكون هناك عربة ثقلة ، ولكنه يستطيع المشي على أية حال . ولم  
يكن يخشى مدثاب ، لأن الوقت سيكون بهاراً ، ودراكولا عائد ، ولكن بحيث هناك  
مشكلة صحيحة . دراكولا قد ذهب ، وهذا جميل ، ولكن الوقت ليل ، ومحاطر الليل  
لأنه نذهب مع دراكولا . لقد كان وجود الكونت في القلعة يخضعه بمأمر من هذه  
المحاطر . وتساءل في نفسه : « وآلان ، وقد ذهب ، فمن الذي يخشى منها ؟ »  
وعبرت إلى حائطه الكلمات التي قالها دراكولا لنفسيات الثلاث في تلك السنة الليلية :  
« وبأن أصبح في غير حاجة إليه . » وآلان . لقد حاث هذه اللخطة

وحدد نصفي . في بداية كل شيء هدنا كل الهدوء . ثم بعد ذلك بدأ نسمع  
صحكاب ، ثم حفيف ثوب حريري في الأركان ، فتحمد الدم في غروقه ، وبأكدا أنه  
أصبح تحت رخمه هؤلاء النسوة ، وفكر في نفسه : « ترى هل يقدر لي أن أرى  
إنجلترا ، ومينا ، مرة أخرى ؟ »



شاطلي البحر قد يعود على صبحها بالخير .

كانت هونسي مدينة مأهولة ، هناك دائما زوارق للصيد تغدو منها وتروح . وطبور  
البحر الصالحة تحلق ثم تنفض من السماء لتلتقط الأسماك التي يلقي بها الصيادون . وفي  
الاحياء البحرية للشهر الذي يجري في واد عميق مخترقا المدينة ، كان المرء يستطيع ان  
يتسلق إلى الكنيسة القديمة حيث يلتصق الهدوء والسكينة ، وحيث كانت عصاف الكثيرين  
من البحارة الذين عرقوا في البحر ملقاة في ساحة الكنيسة . وكان أهل المدينة يحضون ان  
يجلسوا على المقاعد التي وضعت على طول الحمار بين القصور حيث يستطيع المرء من  
ساحة الكنيسة ان يشاهد المدينة كلها ، وان يمتد بصره إلى مسافة بعيدة فوق البحر  
وكثيرا ما كانت مينا ولوسي تجلسان هناك تستمعان إلى قدامى الصيادين الذين اغرلوا  
العمل ، وكانوا يقصون وقتهن بين رواية القصص ، ويشيرون بالاستمتاع بالتحدث إلى الفتيات  
الخسافات .

قالت مينا وهي تفلت بين أصابعها الورقة الرقيقة التي كتبت فيها الرسالة : « إنها  
رسالة عربية . تماما كرسائلي الآخرين كل ما يقوله فيها إنه حزين ، وأنه في طريقه  
إلى الوطن . قطعاً كان يستطيع ان يكتب أكثر من هذا . إنه لم يخط كلمة واحدة عن  
رحلته ، أو عن السيد الذي يقيم معه . الواقع أنها ليست رسالة ودية . »

فصاحت لوسي وقالت : « اعتقد ان الرجال ليسوا كالنساء في كتابة الرسائل ، فهم  
يجدون مشقة في تسجيل مشاعرهم بالكتابة . »

ردت مينا : « لعلك على حق يا عزيزتي لوسي ، ولكنني سأكون مستورة ان اراه  
ثانية ، وان اتأكد ان كل شيء على ما يرام . لقد كان المفروض ان يعود إلى لندن منذ  
اسبوعين . »

لم تكن مينا سعيدة ، والعللة التي بدأت بداية سارة بالسنة لها اتعلت إلى تعاسة  
بسبب قلقها على جوناثان . لقد كان لديها إحساس — لم تستطع ان تغمر عنه بالكلمات —  
ان هناك أمورا لا تسيير في مسارها الصحيح ، وهي تشعر ان الأمور لن تعود إلى مصابها إلا إذا  
رجع جوناثان إلى الوطن . كذلك لم تكن لوسي على عادتها ، وحيثما رأتها مينا كذلك

ما في نفسها . « أترأها الهموم التي أعاني منها هي التي جعلت لوسي قلقة ؟ أم ان هناك سببا  
آخر ؟ » والحقيقة ان لوسي كانت قد بدأت تمارس أمرا لم تمارسه منذ كانت طفلة  
سيرة : بدأت تمشي في أثناء نومها . وفي أثناء الليلين الماصيتين كانت مينا تستيقظ من  
مها فتجد صديقها تمشي حول الحجرة على غير هدى ، كأنها تريد شيئا ولكنها لا تدري  
ما هو . أو ربما كان الطقس هو السبب ، فطوال اليوم كان الجو يبدو وكأنما يتدثر بعاصفة  
سوء ، وكان الهواء ساجنا ثقلا بالسحب ، والنضبات يكاد يخرج الشمس .

ومضت الفتاتان فترة ما بعد الظهر في هدوء ، ثم خرجتا تمشين نحو ساحة الكنيسة  
وحبسا اختارنا الجسر الذي يقع في وسط المدينة كأننا نريان زوارق الصيد وهي  
تجمع مع ان الريح لم تكن شديدة ، والبحر لم يكن هائجا فإن الصيادين كانوا يتوقعون  
منا سببا ، ولم يشاعروا ان يتحركوا خشية ان تذهبهم العاصفة .

ثم ما وصلت الفتاتان إلى الكنيسة وخذتا ان أحدهما صديقاتهما الصيادين المسبيين  
من على مفعدهما المفصل يتطلع إلى البحر . كان هذا الصياد هو السيد سويلز ،  
الذي كان يزعم ان غمرة قارب الكيئة عام ، ولو أنه كان من الصيغب تصديق مثل  
الرغم . وسألته لوسي وهي تجلس بجانبه « انظر ان عاصفة ستهب ياسيد  
سويلز ؟ »

فاجاب السخار الشبح : « نعم يا عزيزتي ، وهو أمر غريب ، لأن هذا الوقت من السنة  
وقب عواصف ، أنا ما رأيت طقسا كهذا قط . ومع هذا فإن الطقس ليس هو  
الشيء الغريب الوحيد في هذه الأيام . »

قال هذا وهو يشير إلى البحر ، ثم أضاف : « انظروا إلى السفينة . »  
صنعت الفتاتان مشهدا سببا شراعة ليست كبيرة الحجم على بُعد حوالي كيلو  
متر من الشاطئ .

وقالت لوسي : « عفوا ياسيد سويلز إننا كما نرى — لسنا من البحارة ، والسفينة  
عادية جدا ، نرى هل العلم الذي ترفعه هو العلم الروسي ؟ »



## الفصل السادس

عندما تآزرت العاصفة كانت هوجاء على غير العادة ؛ فقبل الساعة الثامنة مساءً بقليل هب الريح . وما إن حلت الساعة العاشرة حتى أخذت الأشجار تتمايل بعنف ، وسطوح البحار تتطاير ، والأمواج العاتية تنكسر فوق السور البحري الذي يحمي مرسى زوارق الصيد . لقد كانت عاصفة من ذلك النوع الذي لا يتكرر حدوثه إلا مرة واحدة كل خمسين عامًا ، والذي يروي عنه الأخداد بالأخداد .

ومن حسن الحظ أن معظم الزوارق كانت قد عادت إلى هوبنسي بعد الظهر ، أما القلة التي تأخرت في العودة فقد بقيت بغض السفينة في الدحور . وعندما وصل بحر زوارق مرسى هوبنسي كانت الخماهير التي تجمعت للمراقبة قد عادت إلى بيوتها ، فيما عدا مدس الذين استألفهم الموقف ففصلوا البقاء على الثوم ، لعل بعض القوارب تأتي بعد ذلك . ولكن الذي أتى كان شيئاً آخر .

ثم يره أحد في أول الأمر ، إذ لم يكن يتبعث منه أي صوت ، ومن ثم كان ظهوره مفاجأة لمنعه ساماً . فيما لم يكن هناك في دقيقة من الدقائق شيء على الإطلاق ، فإذا هناك في الساعة التالية سمعة رعت جميع أشرعيتها ، والريح تدفعها من الخفيف . وعندما مرّت من هناك الفئحة التي في السور البحري تبين أنها السفينة الروسية التي جددت أفتيمام السيد شابر .

بعدا فصي الرئان هذا الوقت الطويل لكن يتخذ قراره بالرؤى في هوبنسي ؟ وأي نوع من الرئاسة هذا الذي يتحرر بغير صوت ، وفي ليلة عاصفة مثل هذه الليلة ؟

وعندما أضحت السفينة أقرب شاهد المبحثون على الشاطئ ، رجلاً بجوار عجلة المعادة فتصايحوا وأحدوا يلوحون بالثحية ، ولكن لم يكن هناك جواب . وجيما صارت أكثر قرنا يداً واجد منهم يتوقف عن الصباح ، ثم تلاه آخر .. وخيم سكوت . كان الرجل مفيداً إلى العجلة ، وكان يحدث نخوهم بعفس لا تبصيران . وتكشف الأمر ، وسفينة قد شفت أغنى الأمواج ودخلت الحرقاً بقيادة رجل ميت .



وأحاب البحار الشيخ . نعم ، إنها سفينة روسية . هذا صحيح ، ولكن ليس هذا هو المهم ؛ إنها سفينة عادية ما في ذلك شئ ، ولكن الأمر الشاذ هو أنها مسيرة بطريقة غير عادية . فهناك رجل عند عجلة القيادة ، ولكن السفينة تتحرك على غير هدى ، كأنها الرجل لا يذري أين يوجهها . نظراً ! إنها تمضي دابة . إنها تتحرك حيثما تدفعها الريح . إن الرجل الذي يقف على عجلة القيادة لا يستطيع أن يخرم أمره ، أيأتي إلى هوبنسي أم يستدير إلى البحر ويواجه العاصفة . ولكن إذا لم يخرم أمره على عجل فسوف ترتطم السفينة بالصخور .



وَتَحَرَّكَتِ السَّفِينَةُ بِخَوْ الْجِسْرِ ، وَأَخَذَ الرُّكَّاتُ الْقَلِيلُونَ الَّذِينَ كَانُوا يَفْعُونَ فَوْقَ ظَهْرِهَا يَخْرُونَ طَلَبًا لِلنَّجَاةِ . وَلَوْ أَنَّ السَّفِينَةَ اسْتَمَرَّتْ فِي سَبِيلِهَا لَحَطَمَتِ الْجِسْرَ وَحَمَلَتْهُ بَعِيدًا . وَلَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَمِرَّ ، فَقَدْ حَدَثَ فِي آخِرِ لَحْظَةٍ أَنْ تَغَيَّرَ مَخْرَجُ الرِّيحِ فَذَفَعَتْ السَّفِينَةُ بِخَوْ الشَّاطِطِ الرَّقْمِيِّ الْخَوِيِّ لِشَهْرٍ . وَكَانَتِ الدَّفْعَةُ قَوِيَّةً حَتَّى إِنَّ الْأَشْرَعَةَ وَالْحِمَالَ وَقَطَعَ الْخَشَبَ هَوَتْ بِشِدَّةٍ مُخْبِتَةٍ ذَوِيًا عَالِيًا . وَجَيْشِدَ ، وَيَسَا كَانِ الْخَشْدُ الَّذِي عَلَى الشَّاطِطِ الْمُقَابِلِ يُرَاقِبُ مَا يَخْدُثُ ، إِذَا بَكَلَبَ صَخْرًا أَسْوَدَ يَتَدَفَّعُ فَخَاةً مِنْ وَسْطِ السَّفِينَةِ ، كَمَا لَوْ كَانَتْ قُوَّةُ الصَّدْمَةِ الَّتِي حَمَلَتْ السَّفِينَةَ تَرْتَظِمُ بِالْأَرْضِ هِيَ الَّتِي ذَفَعَتْهُ . وَقَرَّرَ الْكَلْبُ عَالِيًا فَوْقَ الرِّجَالِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَنْقُلُوهُ مُتَّجِهًا إِلَى الشَّوَارِعِ الْمَصِيفَةِ الَّتِي تَعْلُوهَا الْكَيْسَةُ .

وَفِي الصَّبَاحِ التَّالِيِ كَانَتِ الْعَاصِفَةُ قَدْ هَدَأَتْ ، وَتَكَثَّرَتْ مِثْلًا بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى قَبْلَ أَنْ تَتَأَوَّلَ الْإِفْطَارَ . وَقَدْ شَجَعَهَا عَلَى هَذَا الْكُورِ أَنَّ الشَّمْسَ مُشْرِقَةً ، وَالسَّمَاءَ رَقَاءً صَافِيَةً ، ثُمَّ أَخْبَارُ هَذَا الْوُصُولِ الْغَرِيبِ لِسَفِينَةِ الرُّوسِيَّةِ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ . وَلَمْ تَكُنْ لُوسِي قَدْ نَامَتْ فِي النَّيْلِ نَوْمًا هَادِئًا ، وَلِذَلِكَ رَأَتْ مِثْلًا أَنَّهُ خَيْرٌ لَهَا أَنْ تَتْرَكَهَا فِي مَرَاثِهَا كَانَتْ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا تَتَحَدَّثُ عَنِ السَّفِينَةِ الرُّوسِيَّةِ ، وَسَرَّعَانَ مَا عَرَفَتْ مِثْلًا كُلَّ شَيْءٍ مِنَ السَّيِّدِ سَنِيَلِرَ . عَرَفَتْ أَنَّ الطَّبِيبَ الَّذِي فَحَصَ جُثَّةَ رُتَابِ السَّفِينَةِ يَرَى أَنَّ الْوَفَاةَ حَدَثَتْ مُتَدًّا أَيَّامًا ، وَأَنَّ الرُّتَابَ هُوَ الَّذِي قَيَّدَ نَفْسَهُ إِلَى الْعَجَلَةِ ، وَأَنَّ الْحَثْلَ الَّذِي قَيَّدَ نَفْسَهُ بِهِ قَدْ شَقَّ جِلْدَهُ وَبَعَثَ حَتَّى الْعَظْمَ . وَيَتَدَوَّلُ أَنَّ السَّفِينَةَ دِيمِيَتِرَ لَمْ تَتَجِدْ طَرِيقَهَا إِلَى هَوَيْشِي مُصَادَفَةً ، فَقَدْ كَانَ أَحَدُ تُجَّارِ الْمَدِينَةِ يَتَوَقَّعُ وَصُولَهَا ، إِذَا كَانَ قَدْ تَلَقَّى تَفْوِضًا بِسَلْسِلَةٍ صَادِقَةٍ حَشِيَّةٍ مُعَيَّيَّةٍ نَحْمَلُهَا السَّفِينَةَ ، عَلَى أَنْ يَشْخُصَهَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى تَدَارِ الْإِفْطَارِ .

أَمَّا الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ فَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَكَانَ مِنَ الْغَرِيبِ أَنَّ حَيَوَانًا صَخْرًا مِثْلَ هَذَا يُمَكِّنُ أَنْ يَخْتَفِيَ بِهِدًا . وَلَكِنْ مَدِينَةُ هَوَيْشِي كَانَتْ أَكْثَرَ أَمَّا بِدَوْنِهِ . وَقَدْ عَثَرَ الْأَهْلِي عَلَى كَنْبٍ قَوِيٍّ صَخْرًا مِنْ كِلَابِ الْمَدِينَةِ مِثْلًا وَقَدْ مَرَى بِصَفِّ عُنُقِهِ تَمْرِيقًا وَسَادَ الْإِعْتِقَادُ أَنَّ كَلْبَ السَّفِينَةِ دِيمِيَتِرَ هُوَ الَّذِي فَعَلَ بِهِ هَذَا .

عَدَتْ مِثْلًا إِلَى الْكَمَرِ ، وَأَسَاثُ لُوسِي هِيَ أَثَاءُ تَأَوَّلِ الْإِفْطَارِ مَا عَرَفَتْهُ مِنْ أَخْبَارِ . وَمَعَ أَنَّ لُوسِي أَبْدَتْ أَهْتِمَامًا بِمَا سَمِعَتْ فَإِنَّ مِثْلًا لَمْ يَرْفَعْهَا حَالَهَا ، فَقَدْ كَانَتْ تَبْدُو فِي حَالِهَا بَطْرَةً نَاعِسَةً حَالِيَةً . وَرَأَتْ مِثْلًا أَنَّهَا فِي حَاجَةٍ إِلَى اسْتِشْقَاقِ الْهَوَاءِ النَّفِيسِ ، فَخَدَّتْهَا لِتَقْصِيهِ الْيَوْمَ مَعَهَا خَارِجَ الْكَمَرِ . وَحِينَمَا رَجَعَتْ فِي الْمَسَاءِ عَرَفَتْهَا مَرِيدًا مِنَ الْأَخْبَارِ عَنِ السَّفِينَةِ دِيمِيَتِرَ مِثْلًا نَشْرَتْهُ صُحُفُ الْمَسَاءِ . فَقَدْ عَثَرُوا عَلَى السَّحْلِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي رُتَابِ السَّفِينَةِ ملاحظاتُهُ الْيَوْمِيَّةَ عَنِ الرِّخْلَةِ وَاسْتِطَاعَ أَحَدُ زِيَابَةِ هَوَيْشِي الْقَدَامِي مَنْ يَفْرِدُونَ الْمَعَةِ الرُّوسِيَّةَ أَنْ يَتَرَجِّمَ مَا فِيهِ إِلَى الْإِنْجِلِيزِيَّةِ . وَهَذَا مَا قَرَأْتُهُ مِثْلًا وَلُوسِي فِي رَحْمَةِ هَوَيْشِي بَوَسَتْ الْمَسَائِيَّةَ

أَتَحَرَّتِ السَّفِينَةُ دِيمِيَتِرَ مِنْ قَارِنَا الَّتِي تَقَعُ عَلَى الْبَحْرِ الْأَسْوَدِ وَعَلَى ظَهْرِهَا رُتَابٌ مِثْلًا وَحَمْسَةٌ مِنَ الْخَارَةِ وَطَاهٍ . وَفِي الْبَدَايَةِ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ بِسَرٍّ سِيرًا خَسَنًا ، وَبَعْدَ تَقْصَاةٍ بِخَوْ أُسْبُوحَ لَاحِظَ الرُّتَابُ أَنَّ رِجَالَهُ يَبْدُو غَلِبَهُمْ الْفَلَقُ وَالْأَتْرَاعُ . وَبَعْدَ الصَّبَاطِ الْأَوَّلِ أَنَّ يَهْتَدِي إِلَى السَّبَبِ ، فَلَمَّا اسْتَمَعَ إِلَيْهِمْ آخِذًا أَنَّ مَا يَنْحَدِّثُونَ بِهِ لَمْ يَلِ إِثْرًا قَابِلَةً بِعَصَبٍ . وَبَعْدَ مُصَيِّ يَوْمَيْنِ عَلَى هَذَا آخِذًا أَحَدَ الرِّجَالِ ، وَكَانَ قَدْ هَوَى مِنْ بَوْنَةِ الْمُرَاقَبَةِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا . وَشَوْهَدَ يُعَادِرُ مَكَانَةً لِيَهْطَ مِنْ سَطْحِ السَّفِينَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ . وَلَكِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى سَرِيرِهِ فَقَطْ . وَشَاخَ نِشَ الرِّجَالِ جَمِيعًا أَنَّ مِثْلًا مُرًّا غَيْرَ طَبِيعِيٍّ فِي السَّفِينَةِ . وَبَعْدَ مُصَيِّ يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ رَوَى أَحَدُ الرِّجَالِ لِلرُّتَابِ أَنَّهُ كَانَ فِي بَوْنَةِ الْمُرَاقَبَةِ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ شَاهِدَ رَجُلًا غَرِيبًا يَصْعَدُ إِلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ لِيَسْأَلَ مُنَحَّهَا إِلَى الْخُرُوجِ الْحَقِيقِيِّ مِنْهَا ، وَهَذَا آخِذًا ثَمَامًا .

وَحَسْبُ أَمْرِ الرُّتَابِ تَفْخِشُ السَّفِينَةَ كُلُّهَا ، وَكَانَتْ جَمِيعُ الصَّادِقِ الَّتِي فِي الْقَاعِ مُحْكَمَةً بِمِثْلًا بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ - إِنَّ كَانَ مُحْبِثًا فِيهَا - أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ . وَبَعْدَ الْأَرْبَعَةِ يَتَبَيَّنُ مُحْكَمَةُ بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَخْتَبِئَ بِمِثْلًا يَتَبَيَّنُ . وَبَعْدَ الْخَمْسَةِ عَنْ وَجُودِ أَحَدٍ ، وَلِذَلِكَ عَادَتْ إِلَى رِحَالِ السَّفِينَةِ الطَّمَائِيَّةِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِثْلًا نَعَكَّرُ صَفْوَهُمْ ، إِلَى أَنْ وَاحِدًا حَوْثًا عَاصِفًا فِي خَلِيجِ بَسْكَايِ هَذَا فَقَدْ رَجُلٌ



آخِرُ مِنَ الْبَحَارَةِ ، وَتَعَدُّ ذَلِكَ فَقَدْ أَتَانِ آخِرَانِ ، وَكَانَ أَحَبَّاهُمَا جَمِيعًا يَتَمُّ بِنَفْسِ  
الطَّرِيقَةِ الَّتِي حَدَّثَتْ مَعَ الْأَوَّلِ . وَكَانَتْ نَتِيجَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَرِضْ أَحَدٌ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْمُرَاقَبَةِ  
وَحْدَهُ .

وَإِذَا مَا نَدَعُوا الْقِصَالَ الْإِنْكِيرِيَّ اسْتَمَرَ الْخَوْ الْعَاصِفُ ، وَاسْتَمَرَ اجْتِمَاعُ الرِّجَالِ حَتَّى لَمْ  
يَبْقَ مِنْهُمْ الْقَدَدُ الْكَافِي لِرَفْعِ أَشْرَعَةِ السَّفِينَةِ وَإِثْرَالِهَا . وَفِي النِّهَايَةِ لَمْ يَكُنْ بَاقِيًا عَلَى ظَهْرِ  
السَّفِينَةِ إِلَّا الرُّبَا ، وَاصْطَبَطُ الْأَوَّلِ .

« وَإِذَا هَذَا كَانَ مِنْ اصْطَبَاطِ قِرَاءَةِ الْمَلَا حِطَاتِ الْمَدُونَةِ بِالسَّحْلِ ، وَلَكِنْ يَتَدَوَّرُ أَنَّ  
اصْطَبَاطَ الْأَوَّلِ حُرٌّ حُوتُهُ فَرَّاحٌ يَفْشَحُ الصَّادِيقَ الَّتِي فِي قَاعِ السَّفِينَةِ . وَلَمْ يَكُذِّ بِفَعْلٍ ذَلِكَ  
حَتَّى صَاحَ صَبِيحَةً ثُمَّ خَرَى إِلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ وَفَرَّ إِلَى أَعْمَاقِ الْخَرِّ . وَبَعْدَ هَذَا أَصْحَحْتُ  
كِدَمَاتِ السَّحْلِ مُسْتَعَصَةً عَلَى الْقِرَاءَةِ . »

وَفِي الْيَوْمِ الَّذِي شَبِعَتْ حَارَةُ رَبَّانِ السَّفِينَةِ الَّذِي اتَّعَقَدَ صَيَادُو هَوْنِي أَنَّهُ كَانَ بَحَارًا  
شُجَاعًا ، وَأَنَّهُ كَذِي وَاحِدَةٌ خَيْرٌ مَا يَكُونُ الْأَدَاءُ . وَقَدْ سَارَ فِي جَارِهِ جَمْعٌ عَمِيرٌ مِنَ النَّاسِ ،  
وَسَارَتْ مَعَهُمْ مِيَا وَنُوسِي ، وَلَكِنْ مِيَا — بَعْدَ ذَلِكَ — تَمَثَّلَتْ لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ صَحِيحَتْ مَعَهَا  
نُوسِي ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمَا سَمِعَتَا فِي الْبَحَارَةِ أَصْوَارَ سَيْفَةٍ .

كَانَتَا تَتَوَقَّعَانِ أَنَّ ثَرِيًّا صَدَفَهُمَا الْمُسِيرُ السَّيِّدُ سُوَيْلَرُ . لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَهُمَا أَحَدُ  
وَأَقْبَهُ الصَّيَادِينَ الْمُسَبِّسَ وَأَخْبَرَهُمَا أَنَّ السَّيِّدَ سُوَيْلَرَ قَدْ وَجَدَ مِيَّتًا وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى مَقْعَدِهِ  
الْمُعْتَادِ فِي سَاحَةِ الْكَنِيسَةِ ، وَالسَّبُّ أَرْمَةٌ قَنِتٌ . صَحِيحٌ أَنَّ الرَّحْلَ كَانَ شَتِيحًا كَثِيرًا ،  
وَلَكِنْ مِيَا كَانَتْ تَرَى أَنَّهُ فِي عِيَاةِ الْقُوَّةِ . وَقَدْ فَرَزَ الطَّيِّبُ الَّذِي فَحَصَهُ أَنَّهُ يَتَلَوُّ مِنَ  
النُّطْرَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي عَيْنَيْهِ أَنَّ شَيْئًا مَا قَدْ أَفْرَعَهُ . وَلَكِنْ مَا الَّذِي يُتِمِّكُنْ أَنَّ يَكُونَ فِي  
سَاحَةِ الْكَنِيسَةِ أَهَادِيَّةٌ هَذِهِ لِكَيْ يُفَرِّغَ رَجُلًا مُسِيًّا فَيَقْضِيَ عَلَيْهِ ؟ !

## الفصل السابع

فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ اسْتَيْقَظَتْ مِيَا مِنْ نَوْمِهَا وَقَدْ أَتَانِيهَا شَعُورٌ غَرِيبٌ . كَانَ هُنَاكَ فَرَاغٌ فِي  
الْحُجْرَةِ ، وَحَتَّى قَبْلَ أَنْ تَنْهَضَ مِنْ فِرَاشِهَا وَتَنْظُرَ ، كَانَتْ تُحِسُّ أَنَّ لُوسِي لَيْسَتْ  
بِالْحُجْرَةِ . انْتَحَهَتْ إِلَى الْبَابِ فَوَجَدَتْهُ مُغْلَقًا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُوصَدًا بِالْجِرْلَاجِ كَمَا  
تَرَكْتُهُ . ارْتَدَّتْ مَقْطَعًا وَجِدَاءً ، وَسَارَعَتْ بِالنُّزُولِ إِلَى الْقَاعَةِ السُّفْلَى ، فَإِذَا بِهَا تُحْدِ  
الْبَابَ الْأَمَامِيَّ لِلْمَسْرُورِ بِصَفِّ مَفْتُوحٍ ، فَتَأَكَّدَتْ أَنَّ لُوسِي لَا يَدُّ قَدْ خَرَجَتْ . وَلَمْ تَكُنْ  
لِذِي مِيَا فِكْرَةٌ وَاضِحَةٌ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي قَصَدَتْهُ وَلَكِنَّهَا مَا كَادَتْ تُحْطُو حَارِخَ  
الْمَسْرُورِ حَتَّى سَمِعَتْ السَّاعَةَ تُدَقُّ الْوَاحِدَةَ . لَقَدْ كَانَتْ سَاعَةُ الْكَنِيسَةِ مِمَّا خَلَّ فِكْرَهَا  
يَسَاقُ إِلَى هُنَاكَ . لَقَدْ كَانَتَا تَذْهَبَانِ إِلَى سَاحَتِهَا كُلُّ يَوْمٍ تَقْرِيًّا ، فَلَعَلَّ لُوسِي قَادَتْهَا  
فَتَمَازَا إِلَى هُنَاكَ وَهِيَ نَائِمَةٌ .

كَانَتْ اللَّيْلَةُ حَالِكَةً الطَّلَامِ ، وَلَكِنْ كَانَ هُنَاكَ صَوْتُ فُجَائِيٍّ يَتَّبَعُ بَيْنَ الْخَيْبِ وَالْخَيْبِ  
كُلَّمَا دَفَعَتْ الرِّيحُ تَحْمُلاتِ السُّحُبِ الْمُتَكَثِرَةِ لِتُخْتَارَ وَخَهُ الْقَمَرِ . وَحَيْثُمَا وَصَلَتْ مِيَا  
إِلَى طَرَفِ سَاحَةِ الْكَنِيسَةِ كَانَ هُنَاكَ مِنَ الطَّلَامِ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَ مِنَ الصَّوْتِ . وَلَكِنْ ، فِي  
هَذِهِ اللَّحْظَةِ ذَاتِهَا اتَّبَعَتْ صَوْتُ الْقَمَرِ السَّاطِعِ ، وَتَمَلَّكَتْهَا الْفَرَحَةُ حِينَ رَأَتْ صَدِيقَتَهَا  
مُصْطَلِحَةً فَوْقَ مَقْعَدِهَا الْمُعْتَادِ ، الْمَقْعَدِ نَفْسِهِ الَّذِي مَاتَ فَوْقَهُ السَّيِّدُ سُوَيْلَرُ  
الْمُسْكِينِ . وَفِي نَفْسِ اللَّحْظَةِ تَقْرِيًّا جَاءَتِ السَّحَابَةُ التَّالِيَةُ لِتُغْطِيَ الْقَمَرَ ثَابِتَةً ، وَلَكِنْ مِيَا  
أَعْتَرَاهَا إِحْسَاسٌ — فِي حِلَالِ اللَّحْظَةِ الَّتِي اتَّبَعَتْ فِيهَا صَوْتُ الْقَمَرِ — أَنَّ لُوسِي لَمْ تَكُنْ  
وَحْدَهَا ، فَلَقَدْ شَاهَدَتْ فِي طَلِّ الْمَقْبَرَةِ الْكَائِنَةِ خَلْفَ الْمَقْعَدِ شَكْلًا مَا ، وَلَمْ تَسْتَطِعْ  
أَنْ تُحَدِّدَ مَا إِذَا كَانَ شَكْلُ إِنْسَانٍ أَوْ حَيَوَانٍ . وَلَكِنْ هُنَاكَ شَيْءٌ طَوِيلٌ يَحْتُمُّ فَوْقَ جِسْمِ  
لُوسِي .

وَصَاحَتْ مِيَا : « لُوسِي ! لُوسِي ! »

ثُمَّ حَرَّتْ نَحْوَهَا ، وَلَكِنْ إِذَا مَا وَصَلَتْ إِلَى الْمَقْعَدِ كَانَتْ لُوسِي وَحْدَهَا . كَانَتْ لَا  
تُرَآلُ بِصَفِّ مُصْطَلِحَةٍ ، وَرَأْسُهَا فَوْقَ ظَهْرِ الْمَقْعَدِ ، أَمَّا عُنُقُهَا فَكَأَنَّهَا مَكْشُوفَةٌ . وَتَوَقَّعَتْ



مِيا وَهِيَ تَسْأَلُ نَفْسَهَا : « تَرَى ، لُوسِي الَّتِي تَحْلُمُ ، أَمْ إِنِّي أَنَا الْخَالِئَةُ ؟ إِنْ صَوَّءَ  
الْقَمَرُ — عَادَةً — يَجْعَلُ الْكَمَرَةَ يَتَصَوَّرُ أَشْيَاءَ غَيْرَ مُوجُودَةٍ ، وَمَعَ هَذَا فَإِنِّي أَحْسَنُ إِحْسَانًا  
أَكِيدُ أَنَّهُ كَانَ مَعَهَا شَيْءٌ مَا ، أَوْ شَخْصٌ مَا . »

كَانَتْ لُوسِي مُسْتَعْرِقَةً فِي تَوْحٍ عَمِيقٍ ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَنْفَسُ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ طَبِيعَةِ نَفْسِهَا  
سَرِيعًا مُضْطَرَبًا . وَجَلَسَتْ مِيا عَلَى الْمَقْعَدِ بِجَوَارِهَا بِخِطَابٍ وَهِيَ خَيْرِي : « مَاذَا تَفْعَلُ بَعْدَ  
هَذَا ؟ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْحَظَرِ أَنْ تُوقِفَها دَفْعَةً وَاحِدَةً ، وَلَكِنْ — فِي نَفْسِ الْوَقْتِ — قَدْ  
تُصَابُ بِالْبَرْدِ إِذَا تَرَكْتَ عَلَى حَايِهَا هَذِهِ فَتْرَةَ طَوِيلَةٍ . خَلَعْتُ مِيا مَقْلَعَهَا وَطَوَّقَتِهَا بِهِ ، وَفِي  
أَثَاءِ ذَلِكَ سَقَطَ الرُّزُّ الْعَنُويُّ مِنَ الْمَغْطَفِ ، فَأَحْدَثَ الْمَشْتَبَكَ الْمُرْصِعَ الَّذِي كَانَتْ  
تَلْبِسُهُ ثُمَّ شَبَّكَتْ بِهِ أَمْتَحَةً مِنَ بَاحِيَةِ عُنُقِهَا . وَيَتَدَوَّى أَنْ الْمَشْتَبَكَ أَتَغَرَّرَ فِي جِلْدِهَا ، إِذْ إِنْ  
لُوسِي صَرَخَتْ صَرْخَةً أَلَمَ وَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى عُنُقِهَا . ثُمَّ خَدَعَتْ مِيا حَدَائِعَهَا وَوَضَعَتْهُ  
فِي قَدَمِي لُوسِي ، وَسَاعَدَتْهُ عَلَى الْمَشْيِ بِطَءٍ وَشَيْئًا فَشَيْئًا عَادَتْ إِلَيْهَا الْحَيَاةُ مِنَ  
جَدِيدٍ ، وَعَادَتَا إِلَى الْمَنْزِلِ حَيْثُ كَانَتِ الشَّوَارِغُ خَالِيَةً .

وَفِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ التَّالِيِ تَرَكْتُ مِيا صَدِيقَتَهَا نَامًا حَتَّى وَقْتُ مُنَافَرَةٍ ، وَحَيْثُمَا  
اسْتَيْقَظَتْ ، كَانَ يَتَدَوَّى عَلَى وَجْهِهَا الشُّحُوبُ ، وَنَكَّهَا لَمْ تُصَبِّ بِالْبَرْدِ أَمَّا الْعَاقِبَةُ السَّيِّئَةُ  
الَّتِي حَرَّحَتْ بِهَا مِنْ ثَخَرَةِ اللَّيْلَةِ الْخَاصِيَةِ فَهِيَ تُفَعِّنَانِ صَغِيرَتَانِ حَمْرَاوَانِ فِي عُنُقِهَا .  
وَأَحْدَثَ مِيا تَلَوُّمَ نَفْسِهَا إِذْ لَمْ تَكُنْ حَرِيصَةً حَسْمًا اسْتَعْدَمَتِ الْمَشْتَبَكَ ، وَلَكِنْ لُوسِي  
صَمَاتُهَا وَقَالَتْ إِنَّهَا لَا تُحْسِنُ نَأْلَ مِها ، وَكَانَ يَتَدَوَّى عَنْهَا أَنَّهَا لَا تَرْغَبُ فِي الْحَوْضِ فِي  
هَذَا الْمَوْضُوعِ

فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَانَتْ مِيا تَأْمُلُ أَنْ نَامَ لُوسِي نَوْمًا أَهْدَأَ مِمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ ،  
وَلَكِنْ الْأَمْرُ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ . فَحِينَمَا حَانَ وَقْتُ الثَّوْمِ ، لَمْ يَكْتَفِ مِيا بِإِبْصَادِ الْبَابِ  
بِتَسْمِيْنَتِهِ فَخَسَتْ ، بَلْ إِنَّهَا أَخَذَتْ الْبِقْفَاحَ مَعَهَا فِي فِرَاشِهَا أَيْضًا ، وَكَانَ هَذَا مِنَ خُسْفَى  
الْحَظِّ . لِأَنَّهَا سَمِعَتْ لُوسِي وَهِيَ تَهْضُمُ مِنْ فِرَاشِهَا وَتُحَاوِلُ فَتْحَ الْبَابِ مَرَّةً أُولَى وَثَانِيَةً .  
وَفِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ اسْتَيْقَظَتْ مِيا لِتَجِدَ لُوسِي تَسْحَبُ السَّتَائِرَ إِلَى الْخَلْفِ ، وَحَشِيثُ أَنْ

سَقَطَ مِنَ التَّابَةِ فَأَحْدَثَهَا إِلَى فِرَاشِهَا ، ثُمَّ أَعَادَتِ السَّتَائِرَ إِلَى حَيْثُ كَانَتْ .  
كَانَ الْقَمَرُ لَا يَرُودُ بِذَرًا كَامِلًا . وَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ فِي أَحْدَرِجٍ يَتَدَوَّى جَمِيلًا أَتَّحَادًا . وَكَانَ  
أَهْنُوهُ مُحِيْمًا مِها عِنْدَ خُفَاشَا صَحْنًا كَانَ بِحُومٍ فِي دَوَائِرٍ وَاسِعَةٍ ، وَتَفْتَرِبُ حَتَّى يَكْبَادُ  
نَمَاقُ بِالْقَدَةِ . وَلَكِنْ يَتَدَوَّى أَنْ طُهِورَ مِيا قَدْ أَفْرَعَهُ ، فَأَحَدُ يَطْبُرُ غَيْرِ الْوَادِي فِي اتِّجَاهِ  
كِسْفَةٍ .

كَانَتْ صَبِيحَةُ لُوسِي تَزْدَادُ سُوءًا ، وَكَانَ ذَلِكَ مَنَعَتْ قَلْبِي لِمِيا . وَكَانَتْ تَصْرُفَاتُ  
لُوسِي فِي مُعْطَمِ الْأَوْقَاتِ هِيَ تَصْرُفَاتُ الصَّدِيقَةِ الْوَدُودِ الَّتِي عَرَفْتُ مِيا مِنْذُ زَمَانٍ طَوِيلٍ  
بِحَسَبِهَا . وَلَكِنْ — فِي أَوْقَاتٍ أُخْرَى — كَانَتْ تَتَدَوَّى وَكَانَتْهَا شَخْصٌ غَرِيبٌ ، وَكَانَتْ  
لُوسِي دَائِمَةً الشُّحُوبَ وَالْإِهْوَاقَ فِي الْأَيَّامِ الْآخِرَةِ . وَلِذَلِكَ كُنْتُ مِيا إِلَى وَالِدَةِ لُوسِي  
مَنْعَتْ مِنْهَا أَنْ تُعْجَلَ بِالْحَصْرِ إِلَى فَرَشِهَا صَبِيحَةً أَنَّهُ كَانَتْ هُنَاكَ حُطُورَةٌ فِي تَحْمِيلِ  
بَنَاتِهَا وَمِنْهَا مَشَقَاتُ الشَّرِّ بِسَبِّ قَلْبِهَا الضَّعِيفِ . وَلَكِنْ إِذَا كَانَتْ لُوسِي مَرِيضَةً فَإِنْ  
بَلَغَتْ حَقَّ أُمِّهَا أَنْ تُعْرِفَ . كَذَلِكَ طَلَبْتُ مِيا مِنْ لُوسِي أَنْ تُعْرِضَ نَفْسَهَا عَلَى طَبِيبٍ ،  
وَسَمِعْتُ لَهَا وَهِيَ غَيْرُ رَاضِيَةٍ كُلَّ الرُّضَا . وَقَدْ قَرَّرَ الطَّبِيبُ أَنَّهَا لَا تُعَالَى مِنْ أَيِّ  
مِها ، وَإِنَّمَا هِيَ فِي حَاجَةٍ إِلَى الرَّاحَةِ وَالْهَدْوِ .

أَمَّا تِلْكَ مِيا أَنْ تَسْأَلَ لُوسِي عَنْ مَوْضُوعٍ مَشِيْهَا فِي أَثَاءِ الثَّوْمِ ، إِذْ وَجَدْتُ أَنَّهُ مِنَ  
حَسْمٍ لَا تُفْنِفُهَا بِأَحْدِيثِ الْمُنَافَرَةِ هِيَ عَقِبَ وَقْعِهِ . وَلَكِنْ ، بَعْدَ صَهْرٍ أَحَدِ الْأَيَّامِ ،  
حَسْمًا كَانَتْ تَخَارِجُ سَاحَةَ الْكِبْسَةِ وَحَدَّثَتْ مِيا أَنَّ أَوَقْتُ مُنَافَرَةٍ لَكِنِّي نَظَرْتُ  
الْمَوْضُوعَ . وَفَكَرْتُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ هُنَاكَ مَا يُفْنِفُ لُوسِي فَإِنَّ التَّحَدُّثَ فِيهِ رُبَّمَا يُسَاعِدُهَا  
بِحَسْمٍ خَيْرٍ لَهَا ، وَلِذَلِكَ سَأَلْتُهَا : « بِمِ كُنْتَ تَحْلُمِينَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ حِينَمَا جِئْتُ إِلَى هُنَا  
بَعْدَ ؟ »

فَأَحْدَثَ لُوسِي مُسَائِلَةً : « هَلْ كُنْتُ أَخْلُمُ ؟ بَعْدَ ، لَأَنْدَ أَنَّهُ كَانَ حُسْمًا ، وَلَكِنَّهُ  
كَحَقِيقَةٍ نَمَانًا لَقَدْ أَخْسَنْتُ بَرْعَةً شَدِيدَةً فِي أَنْ أَكُونَ فِي سَاحَةِ الْكِبْسَةِ . وَمَعَ  
بَعْدَ ، فَسَلْتُ أَذْرِي لِمَادَا ؟ ذَلِكَ لِأَنِّي أَذْكُرُ أَنَّ كُنْتُ حَائِلَةً مِنْ شَيْءٍ مَا أَيْضًا . وَمَعَ



لَمْ يَلْبُدْ كُنْتُ نائمةً ، فَإِنِّي أَذْكُرُ سِرِّي فِي الشَّوَارِعِ ، وَحِيلَ إِلَيَّ أَنَّ الْمَدِينَةَ مُتَمَلِّكَةٌ  
بِالْكِلَابِ . كَانَتِ الصُّوْضَاءُ عَلَى أَشْدِّهَا ، وَعِنْدَمَا كُنْتُ أَغْبُرُ الْجِسْرَ إِذَا بِسَمَكَةٍ تَقْفُرُ ،  
فَتَوَقَّعْتُ كَنِّي أُحِيلُ بَصَرِي فِي الْمَاءِ . ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى الْكَبِيْسةِ وَنَدَانِي كَانِي لَا أَرَأِي أَحَدًا فِي  
الْمَاءِ ، وَأَنِّي أَعْوَضُ فِيهِ ، فِي مَاءٍ عَمِيقٍ أَخْضَرُ ، وَكَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ طَوِيلٌ قَاتِمٌ دُونَ عَيْنِي  
خَمْرًاوَيْثُ ، وَأَتَابَتْنِي مَشَاعِرٌ مِنَ اللَّدَّةِ وَالْخَوْفِ وَالْأَلَمِ حَمِيْقًا ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَذْكُرُ أَنَّكَ كُنْتَ  
بِحَاسِي عَلَى الْحَقِيقَةِ . هَلْ كُنْتَ أَنْتَ ؟ أَمْرٌ غَجِيبٌ حَقًّا .  
قَالَتْ هَذَا ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ فِي الصَّبْحِ .

لَمْ يَرُقْ مِثْلَ أَنْ تَرَى لُوسِي تَصْحُكُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، فَقَدْ كَانَتْ صَحَاكُهَا غَيْرَ  
طَبِيعِيَّةٍ . كَمَا أَحْسَنْتُ أَنْ لُوسِي لَمْ تُخْبِرْهَا بِكُلِّ مَا كَانَتْ مَذْكُورَةً عَنْ هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، وَلَكِنَّهَا  
لَمْ تُحَاوِلْ أَنْ تُخَبِّرَ عَلَيْهَا لَكِنِّي تُخْبِرُهَا بِالْحَرِيدِ . ذَلِكَ لِأَنَّ لُوسِي قَالَتْ إِنَّهَا تَشْكُو مِنْ  
صُدَاعٍ ، وَقَدْ أَوَتْ إِلَى فِرَاشِهَا عَقِبَ عَوْدَتِهَا إِلَى الْمَنْزِلِ مُبَاشَرَةً . أَمَّا مِثْلَ فَقَدْ حَلَسَتْ  
تَكْتُبُ بَعْضَ الرِّسَالِ حَتَّى الْعَاشِرَةِ . وَأَحْسَنْتُ أَنَّهَا فِي حَاجَةٍ إِلَى الْهَوَاءِ الطَّلَقِ فَحَرَحْتُ  
نَفْسِي حَتَّى مَكْتُبَ الْكَرِيدِ فِي الْمَدِينَةِ . وَفِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ مَرَّتْ بِقَعَةٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرَى مِنْهَا  
ظَهَرَ كَمَنْزِلٍ لَدِي ثَقِيمٍ فِيهِ ، وَلَمْ يَكُنِ الْقَمَرُ بَدْرًا كَمَا كَانَ فِي الْمَثَلَةِ السَّابِقَةِ ، وَلَكِنَّهُ  
كَانَ لَا يَزَالُ سَاطِعًا . وَحِينَمَا رَفَعْتُ بَصَرَهَا إِلَى بَاعِدَةِ خُحْرَةٍ بَرَزَ مِنْهَا أَحَدُهَا الذَّهَبَةُ إِذْ  
شَاهَدَتْ لُوسِي فَلَوَّحَتْ لَهَا يَدَهَا ، وَلَكِنْ لُوسِي لَمْ تُبَادِلْهَا التَّحِيَّةَ ، وَبِئْسَ كَانَتْ تَسْتَنْدُ  
عَلَى حَافَةِ النَّافِذَةِ كَمَا لَوْ كَانَتْ نَائِمَةً . وَفِي النَّوْءِ خَطَرَ عَلَى نَالِ مِثْلَ مَا حَدَثَ فِي لَيْلَةِ سَاحَةِ  
الْكَبِيْسةِ ، وَالشَّكْلُ الْعَرِيبُ الَّذِي حُبِلَ بِهَا وَقَتَبَدَ أَنَّ حَائِثَهُ فَوْقَ صَدِيقَتِهَا وَهَكَذَا  
بِلَمَرَّةِ الثَّانِيَةِ . بَدَأَ كَمَا نَوَّ أَنْ شَيْئًا مَا مُتَمَدِّدٌ أَمَامَ وَجْهِهَا عَلَى حَافَةِ النَّافِذَةِ ، وَبَدَأَ أَشْبَهَ  
بِحَاجِ طَائِرٍ أَوْ خُفَّاشٍ . هَزَلَتْ مِثْلَ إِلَى الْمَنْزِلِ ، وَسَارَعَتْ إِلَى ارْتِفَاعِ السَّلَامِ وَثَبَّتْ .  
وَحِينَمَا دَخَلَتْ الْخُحْرَةَ ، كَانَتْ لُوسِي فِي فِرَاشِهَا مُسْتَرْقِفَةً فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ . كَانَتْ تَتَقَرَّرُ  
نَفْسًا سَرِيعًا مُصْطَرِبًا كَمَا فَعَلَتْ فِي سَاحَةِ الْكَبِيْسةِ ، وَكَانَتْ تَشُدُّ مَقْرَضَ السَّرِيرِ بِقُوَّةٍ حَوْلَ  
عُنُقِهَا . انْتَهَتْ مِثْلَ إِلَى النَّافِذَةِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَيُّ شَيْءٍ

لَمْ تَكُنِ الْأَيَّامُ الْعَلِيلَةُ الثَّانِيَةَ سَعِيدَةً بِالنِّسْبَةِ لِمِثْلَ . كَانَتْ لُوسِي تَأْكُلُ وَتَنَامُ ، وَكَانَتْ  
تَسْتَنُ الْهَوَاءَ الطَّلَقَ كَثِيرًا ، وَنَمَعَ ذَلِكَ كَانَتْ تَزْدَادُ شُحُوبًا وَضَعْفًا . وَأَيُّمَا كَانَ رَأْيُ  
عَيْنِهَا فَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ فِي أَنَّهَا كَانَتْ مَرِيضَةً . أَمَّا الْجُرْحَانِ الصَّغِيرَانِ لِي عُنُقُهَا فَإِنَّهُمَا  
لَمْ يَنْتَحِشَا . كَانَا لَا يَرَالَانِ مَفْتُوحَيْنِ ، بَلْ لَقَدْ رَادَا انْتِصَاعًا ، وَكَانَتْ مِثْلَ تَرْجُو أَلَّا يَكُونَ  
عَدَمُ جِرْصِيهَا هُوَ السَّبَبُ فِي مَرَضِ لُوسِي .

وَأَخِيرًا قَالَتْ مِثْلَ : لَمْ يَلْبُدْ أَنْ تَسْتَشِيرِي طَبِيبًا آخَرَ يَا لُوسِي ، سَوْفَ أَكْتُبُ إِلَى دُكْتُورِ

سَارِدِ



## الفصل الثامن

حيما ترثت مينا لتناول طعام الإفطار في صباح اليوم التالي وحدث خطأ بها فرب  
مكب جنوسها إلى المائدة . ورد وقع بصرها على حاتم نوداست على صانع البريد  
صاحت : « أحيى ! لا بد أن يكون من حوانات » .

ولكن حينما رأت أن الكتابة على الطرف ليست بخط حوانات عادت إليها أسوأ  
محوها .

### السيدة العزيزة

اكتب إليك براء على رغبة سيّد حوانات هاركر لذي لا يملك القوة الكافية لكي يكتب  
بنفسه ، ولو أنه يتحسن يوما بعد يوم ، وشكر الله واستحسن حوريف . لقد كان تحت رعايا  
طوال الأسابيع الأربعة الماضية ، وقد طلب مني أن أكتب إليك بحته ، كما طلب أن أكتب  
إلى السيّد بيتر هو كير مي إكستر بإحتلنا لأخبره أن عمله قد أحر ، وأنه بأسف لتأخره في  
العودة . إنه في حاجة إلى بضعة أسابيع أخرى من الراحة في دارنا التي تقع فوق التلال ، ثم  
يعود بعدها إلى إحتلنا . كما طلب أن أحرك أنه في حاجة إلى نفوذ ، إذ يرعى في سداد  
بفات إقامة هنا ، وذلك لكي تتمكن دارنا من تقديم العون لأولئك الذين يحتاجون إليه .

### المخلص

#### الأخت أعانا

#### مستشفى سانت جوزيف

وقد ذُلت عبارات أخرى كتبها الأخت أعانا :

« سيّد هاركر نائم الآن ، وقد وُحِد من الأفضل أن أفتح الرسالة لأصيف  
المريد . حينما جاء إلينا كان يتحدث في هياج عن المذئاب والدماء ومصاصي الدماء ،  
ويبدو أنه قد حدث له شيء عريت مفرغ — ورثنا شرب — حتى لقد صارت الأمور كلها  
مُخلطة في عقده . ولقد وُحِدنا من الأفضل ألا نوحه إليه أي شيء . فقد وصل إلى نوداست

بمطار قادما من بيترير دون تذكرة سفر ، وفي حالة شديدة من الاضطراب . وكنا نود أن  
نكتب إليك من قبل ، ولكن حالة لم تكن تسمح بذلك . أما الآن فقد أصبح قادرا على أن  
تحدث إلينا ، وأن يكون لكلامه معنى . »

وحينما ظهرت لوسي صاحبت مينا : « أو يا لوسي ! إنه بخير . لقد جاءني الأخبار  
أحيى . لم أكن أظن قط أن السعادة سوف تعمري حين أعلم أنه يرقد في مستشفى ،  
بكتة — على الأقل — لم يختب . إنه — على الأقل — لم يمُت . لا بد أن أذهب إليه  
بقدر ما أستطيع من سرعة . »

وهكذا ، اتخذت مينا الإجراءات اللازمة : أرسلت الخطابات والبرقيات إلى السيّد  
هو كير ، وإلى الأخت أعانا ، وأشرت تذاكر السفر بالسفينة والقطار . وقد ردّ عليها  
السيّد هو كير برسالة رقيقة ، وكان من رايه أنها سوف تكون فكرة طيبة بالنسبة لمينا  
حوانات أن يعقدا قراهما في نوداست ، وتعهد أن يتولى هو اتحاد الإجراءات اللازمة .

أما لوسي — وقد استغرقت ما عمر مينا من سعادة — فقد بدأت حانها تتحسن قليلا .  
كتبها كانت لا تزال بعيدة عن الشفاء ، وكانت مينا تصنع أملاها في وصول السيدة  
سنرا ، وما يترتب عليه من أثر طيب .

وقالت مينا ، للمرأة العشرين منذ وصول رسالة الأخت أعانا : « أو يا لوسي ! لشي لا  
نصنع الانتظار لكي أراه ثانية ! »

كانت الفتاتان في محطة هوبنسي تنتظرا القطار الذي يقل السيدة وسنرا . وقالت  
لوسي ، للمرأة الحادية والعشرين على الأقل جلال هذا الأسبوع :  
« كم أتمنى لو أستطعت أن أترّج سرعة مثلك . إنك فتاة سعيدة حقا يامينا ،  
ولو لم تكن اللورد عودا لمينع والد آرثر مريضا لاستطعنا — آرثر وأنا — أن نترّج أيضا في  
هذا الصيف . عريبي المسكين ، إنه لا يستطيع أن يتبع عري المسكين . »

ولم تكن لوسي تتحدث كثيرا عن آرثر في أثناء الأسابيع القليلة الماضية ، ولذلك



## الْقِسْمُ الثَّالِثُ دُكُورُ سِيَوَارْدُ

### الفصل التاسع

جلس الدكتور سيوارد يَكْتُبُ تقاريره الأسبوعية عن دار المحاسن التي يتولَّى الإشراف عليها . وكان من بين الحالات التي يعالجها حالة رينولد التي كانت محط اهتمامه . فيها رجلٌ موفور القوة ، في وسط العمر ، بقصى كلِّ وقته في القنص على الدُّبَابِ . لإلقاء عِلْنِه حيا في وعاءٍ رُجَاحِيٍّ . بِمِثْلِ هذا الصَّنِيعِ — على الأقل — لم يكن يُسَبِّبُ أيَّ سرِّ ، ولكِنَّه كان — كذلك — يُمَسِّكُ العُنَاكِبَ ويُقدِّمُ لها الذُّبَابَ طعامًا . ويصوِّرُ

مَرَّتْ مِيبَا جِئِمَا سَمِعَتْهَا تُتَخَدِّثُ ثَابِيَةً ، وَتَمَسَّتْ هِيَ كَذَلِكَ لَوْ أَنَّ أَزْوَاجَ كَانَ يَتَلَبَّكُ الْحُرِّيَّةَ يَكْنِي يَأْتِي إِلَى هَوَيْتِي إِنَّ لُوسِي فِي حَاجَةٍ إِلَى غُزْبٍ مِنْ رَحْلِ يَقِفُ بِحَايِبِهَا

وفي هذه اللحظة لاحظت مِيبَا أَنَّ هَناكَ قِطَارَ بَصَائِعٍ يَتَحَرَّكُ بِطَرَفِ لِبَاعِزِ الْمَحْطَةِ ، وَكَانَتْ مُعْطَمُ أَحْمَارِ الْقِصَارِ مِنَ السَّمْتِ الَّذِي يَتَقَنَّه إِلَى لَنْدَنَ ، وَلَكِنَّه كَانَ بِخِمْلٍ شَيْئًا آخَرَ كَذَلِكَ .

صاحت مِيبَا : « مَا هَذِهِ الصَّادِيقُ الْمَحْمُولَةُ فِي غِرَابَاتِ الْقِطَارِ الْمَكْشُوفَةِ ؟ لَقَدْ رَأَيْتُهَا مِنْ قَبْلُ عَجَبًا ! مِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهَا الصَّادِيقُ الَّتِي كَانَتْ فِي السَّفِينَةِ دِيمِيتر . »

وعادت بها الخواصر إلى العاصفة ، وإلى السفينة ، وإلى الرُّبَابِ الْمَيِّتِ كَمْ هُوَ مُوسِيفُ أَنَّ يَمُوتُ رِجَالٌ كَثِيرُونَ فِي سَبِيلِ إِخْصَارِ قَلِيلٍ مِنَ الصَّادِيقِ إِلَى إِنْجَلْتِرَا . قَالَتْ لُوسِي حِينَما مَرَّتْ بِهَا الْعَرَبَاتُ الْمَكْشُوفَةُ : « إِنِّي أَشْعُرُ بِالرُّودَةِ » .

وَالْوَقْعُ أَنَّهَا بَدَتْ عَجَازَةً وَقَدْ كَسَاهَا الشُّحُوتُ اشْتِدَادًا ، وَأَتَانَهَا الْمَرَضُ . وَكَانَ قِطَارُ الْبَصَائِعِ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْمَحْطَةِ فِي نَفْسِ اللَّحْظَةِ الَّتِي طَهَرَ فِيهَا الْقِطَارُ الَّذِي يُقَلُّ السَّيِّدَةُ وَسْتِيرَا قَادِمًا ، فَقَالَتْ مِيبَا وَقَدْ طَوَّقَتْ صَدِيقَتَهَا بِدِرَاعَيْهَا : « كُلُّ شَيْءٍ سَوْفَ يَكُونُ أَحْسَنَ الْآنَ . »

تَمَسَّتْ لُوسِي نَفْسًا غَمِيقًا وَقَالَتْ : « آهْ يَا مِيبَا ! عَرِيزَتِي مِيبَا ! إِنِّي أَمَلُّ أَنَّ يَكُونُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ . إِنِّي لَا أَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ الَّتِي كُنْتُ أَشْعُرُ بِهَا مِنْ قَبْلُ » .





الأمر فأصبح يُعسبك رَوْحًا مِنَ الطُّيُورِ الصَّعِيرَةِ وَيَقْدُمُ لَهَا الْعَنَاقَتِ عِدَاءً . وَسَأَلَ الرَّجُلُ  
عَمَّا إِذَا كَانَ مِنَ الْمُمَكِرِ أَنْ يَقْشِيَ قِطْعًا صَغِيرًا ، فَرَفَضَ الدُّكْتُورُ سِيوَارْدُ طَلَبَهُ . وَفِي الْيَوْمِ  
التَّالِيِ أَبْلَغَ مُرَرُّ رِينَفِيلْدُ أَنَّ الصَّائِرِينَ آخِثِيًا ، وَأَنَّ هُنَاكَ دَمًا وَرَيْشًا فِي أَحَدِ أَرْكَانِ  
الْحُجْرَةِ وَلِذَلِكَ حَمَدَ الدُّكْتُورُ سِيوَارْدُ اللَّهَ لِأَنَّهُ لَمْ يُعْطِ رِينَفِيلْدُ قِطْعًا .

وَكَانَ مِنَ الْوَاصِحِ أَنَّ رِينَفِيلْدَ يَتَّبِعُ حُطَّةً ، وَأَنَّ هَذِهِ الْحُطَّةَ كَانَتْ — بِمَنْطِقِهَا الْخُفْيِ  
مَعْقُولَةً فَقَدْ كَانَ يَتَوَهَّمُ أَنَّ — إِذَا يَلْتَهُمُ الطَّائِرِينَ — فَهُوَ لَا يَقْضِي عَلَى حَيَاتِهِمَا  
فَحَسَنٌ ، وَإِنَّمَا يَقْضِي فِي نَفْسِ الْوَقْتِ عَلَى حَيَاةِ الْعَنَاقِبِ وَالذُّبَابِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَتَّبِعُ  
فِيهِ شُعُورًا بِالسُّطُورَةِ وَالْقُوَّةِ . وَلَكِنْ الْمَسْأَلَةُ هِيَ : مَا الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يُوْذِيَ إِلَيْهِ كُلُّ  
هَذَا ؟

إِنْ قُتِلَ الْعَنَاقِبُ وَالذُّبَابُ لَيْسَ أَمْرًا ذَا شَأْنٍ ، وَلَكِنْ لِنُفُوضِ أَنَّ بَدَأَ يُفَكِّرُ فِي الْقَصَا  
عَنِ حَيَاةِ كَانِتَاتِ أَعْلَى مِنْ هَذِهِ ؟ إِنْ مِثْلَ هَذِهِ الْمَكْرَةِ — إِذَا تَسَلَّطَتْ عَلَيْهِ — قَدْ تُجْعَلُ مِثْلُ  
قَبِيلًا . وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ هِيَ الْمُسْهِكَةُ الْوَجِيدَةُ فِي حَالَةِ رِينَفِيلْدِ . فَمُنْذُ بَصْنَةِ أَيَّامِ بَدَأَتْ  
تُثَابِتُهُ حَالَةً هِيَاجٍ بِذَوْنِ سَبَبٍ مَلْحُوظٍ ، وَظَلَّ يُرَدِّدُ قَوْلَهُ : « إِنْ السَّيِّدَ قَرِيبٌ » ، فَهَلْ كَانَ  
هَذَا نَوْعًا مِنَ الْهَوَسِ الَّذِي يَأْتِي ؟ وَإِذَا صَحَّ ذَلِكَ ، وَاقْتَرَنَ الْأَمْرُ بِرَعْبَةٍ فِي الْقَتْلِ ، فَإِنْ  
ذَلِكَ يُشِيرُ إِلَى حَالَةٍ خَطِيرَةٍ .

أَزَاحَ الدُّكْتُورُ سِيوَارْدُ السَّجِلَ الَّذِي يُدُونُ فِيهِ مُمَاحِظَاتِهِ بَعِيدًا ، وَأَرَاخَ رَأْيَهُ تَبَيَّنَ بِذَنبِهِ ،  
وَكَانَ اللَّيْلُ قَدْ انْتَصَفَ ، وَغَلَبَتِ الثَّغْبُ وَالْإِغْيَاءُ . كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ يَكْدُ فِي عَمَلِهِ كَثِيرًا ،  
وَلَكِنْ هَذَا كَانَ يُسَاعِدُهُ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي لُوسِي .

وَعِنْدَمَا دَهَبَ إِلَى فِرَاشِهِ أَحِيرًا أَصَابَهُ أَرْقٌ . وَكَانَ لَا يَرَى مُسْتَقْبَلًا جَيِّمًا دَخَلَ الْحَارِسُ  
النِّسْبِيَّ حُجْرَتَهُ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ صَبَاحًا ، وَقَالَ : « لَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْكَ الْمُرَرُّ الْمَسْطُورُ بِهِ  
الْعَمَلُ اللَّيْلَةَ لِأَيْلَعَكَ أَنْ رِينَفِيلْدُ قَدْ هَرَبَ » فَارْتَدَى سِيوَارْدُ ثِيَابَهُ عَلَى عَجَلٍ ، وَتَرَلَّ عَلَى  
السَّلَامِ وَثَبَّأَ إِلَى حُجْرَةِ رِينَفِيلْدِ ، وَكَانَ الْمُرَرُّ قَدْ أَيْقَطَ أَتْنِي مِنْ رُمَلَاتِهِ ، وَوَقَفَ الثَّلَاثَةُ  
يَتَنَظَّرُونَ تَوْحِيَّاتِ الطَّيِّبِ .

وَقَالَ الْمُرَرُّ شَارِحًا : « لَقَدْ حَدَّثَ الْأَمْرُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ بِاسْمِي : كُنْتُ قَدْ  
نَفَرْتُ مِنْ خِلَالِ النَّافِذَةِ الَّتِي فِي بَابِهِ مُنْذُ خَمْسِ عَشْرَةِ دَقِيقَةً ، وَبَدَأَ لِي أَنَّهُ بَائِمٌ ، ثُمَّ  
نَفَرْتُ ثَابِتَةً مُنْذُ لَحَظَاتٍ قَرَابَتُهُ يَتَسَلَّقُ إِلَى حَارِجِ النَّافِذَةِ . إِنَّهُ قَوِيٌّ جِدًّا بِاسْمِي ، فَقَدْ  
سَى قُصَاةَ النَّافِذَةِ بِذَنبِهِ وَهَرَّ هَارِبًا ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ أَتَحَهُ نَحْوَ كَارْفَاكْسِ »

قَالَ الدُّكْتُورُ سِيوَارْدُ : « اتَّعَوِي ، فَسَتَوْفَ تَسْلُكُ نَفْسَ الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَهُ مِنْ جِلَالِ  
الْبَدَا »

وَبَيْنَمَا كَانَ الطَّيِّبُ يَتَسَلَّقُ النَّافِذَةَ كَانَ يَفْخُضُ مِنْ قُوَّةِ الرَّجُلِ الْمَخْجُوبِ الَّذِي اسْتَطَاعَ  
أَنْ يَنْشِيَ الْقُصَاةَ الْخَدِيدِيَّةَ الْعَلِيظَةَ كَأَنَّمَا هِيَ أَسْلَافٌ . مَا الَّذِي خَفَعَهُ يَقَعْلُ ذَلِكَ يَأْتِي ؟  
إِنَّهُ لَمْ يُحَاطَلِ الْهَرُوبَ قَطُّ مِنْ قَبْلُ !

وَحِينَمَا أَصْبَحَ الرُّجَالُ الْخَمْسَةُ فِي الْحَارِجِ خَرُّوا نَحْوَ السُّورِ الْمُرْتَمِعِ الَّذِي يَقِفُ  
حَارِجًا بَيْنَ الْمُسْتَشْمِي وَأَرَاصِي كَارْفَاكْسِ الْمَشْهُرَةِ الَّتِي يَغْشِيهَا ظِلَامٌ ، وَتَسْأَلُ  
نَفْسُ : « إِذَا كَانَ رِينَفِيلْدُ يُرِيدُ مُجَرَّدَ الْهَرُوبِ ، فَهَمَادًا لَمْ يَتَطَّلَقْ نَحْوَ الطَّرِيقِ ؟ »

كَانَ فِي الْجَانِبِ الْآخِرِ مِنَ السُّورِ مَمَرٌ تَكْسُوهُ الْأَغْشَابُ الطَّوِيلَةُ . سَلَكَوا ذَلِكَ الْمَمَرُ  
إِلَى لَاحِ أَمَامِهِمْ فِي غُتْمَةِ اللَّيْلِ هَيْكُلُ الْمَنْزِلِ وَالْكَيْسَةِ . وَنَمَّ يَصْنَعُ عَلَيْهِمُ الْعُشُورُ عَلَى  
نَفْسِ الَّذِي يَلْسُ جِلْبَابِ الثَّوْمِ الْأَبْيَضِ ، وَالَّذِي لَمْ يَكُنْ يُحَاطَلُ أَنْ يُخْفِيَ نَفْسَهُ ، وَإِنَّمَا  
أُتْمِنَتْ بِجَسَدِهِ بِبَابِ الْكَيْسَةِ ، وَدِرَاعَاهُ مَمْدُودَتَانِ إِلَى أَعْلَى . وَكَانَ يَقُولُ :  
« سَيِّدِي ! إِنْ حَادَمَكَ هُنَا ، فَهَرَّةٌ بَعْدَ تَرَى . »

فَقَالَ الطَّيِّبُ : « ثَمَامًا كَمَا قَدَّرْنَا . إِنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْهَوَسِ الدَّيْسِيِّ ، وَلَقَدْ جَاءَ إِلَى هُنَا  
لِأَنَّهُ ظَلَّ أَنَّهَا أَقْرَبُ كَيْسَةٍ . »

لَا بُدَّ أَنَّ رِينَفِيلْدَ سَمِعَ صَوْتَهُ ، فَقَدْ أَلْتَفَتَ فَجْأَةً وَوَاخَهُمُ وَهُوَ يُرْمَحُ كَمَا تَرْمَحُ  
الْحَوَائِثُ الصَّارِيَةُ . أَمَّا الطَّيِّبُ وَرِجَالُهُ فَقَدْ أَحْكَمُوا الْحَلْقَةَ حَوْلَهُ حَتَّى أَصْبَحُوا عَلَى مَقَرَّةٍ  
أَنَّ نَحْنُ يَسْتَطِيعُونَ الْإِمْسَاكَ بِهِ ، وَلَكِنَّهُ أَحَدُ يُقَاتِلُ قِتَالِ الْمُسْتَمِيتِ . وَكَانَ الرُّجَالُ



الخمسة أشد قوة فحملوه وعدوا به وهو يرفض ويقاوم . وكان هناك حفاش تطير حائما بين الأشجار وحارحها ، وبدأ كأنما تحركات الحفاش تزيد استهارة وصياخا ، حتى إن كل من في المستشفى استيقظوا على صيحاته وصرحاته .

وفي صباح اليوم التالي جاء رائتر إلى الدكتور سيوارد ، ولم يكن الطئط في استقبال أي رائتر بعد ما حدث في الليلة الماضية . ولكنه كان آرتز هو لموود وهو صديق لاند أن يراه . ولم يكن الشاب الفارع — القوام ، الأنيق الثياب ، الهنيء المنظر — سعيدا كما كان يبدو عادة ، وإنما كان قلقا بسبب تدهور صحة لوسي .

قال آرتز : « لقد كانت تبدو في أحسن حال حينما عادت من هوبنسي يا حاك ، مع أن ميا موري قالت إنها كانت مريضة جدا . »

قال الطبيب : « لقد كنت مب إلى ذلك ، وكان يبدو من رسالتها أنها شديدة القلق عنها . »

قال آرتز : « حسنا ، لقد طئت في البداية أن ميا أخرجت قصة مرضها ولكن ما إن أنقصت أيام قليلة بعد عودتها حتى تغيرت ، وأذكرت تماما ماذا كانت ميا تفعل إنها الآن في غاية الضعف حتى إنها لا تكاد تتحرك هنا وهناك إلا بصعوبة ، ثم إنها تردأ سوءا يوما بعد يوم . إني لآند أن أعود إلى لندن اليوم ، ولكني أريدك أن تذهب لاول لقاء مع آي وسترا . لاحظ أن لوسي لن تتحدث عن مرضها على منسمع من أمها ، ولكن يمكنك بعد ذلك أن تحد فرصة لرؤيتها على أفراد . »

وفي وقت متأخر من نفس الصباح استقل الدكتور سيوارد عرته إلى هيلينغدون حيث تقيم أسرة وسترا . ولم يكن قد رأى لوسي منذ أسابيع ، ولم يكن مرتاحا إلى رؤيتها لأن ، ولكنه سم يش وعدة أن يكون لها صديقا .

وحينما قابلها لاحظ أنها شاحنة ولكن متتمة ، على الأقل ، في أثناء اللقاء حينما كانت أمها معها . ولكن بعدما دعت السيدة وسترا إستريخ دخلت لوسي غي

مدخر ، وقالت : « آه يا حاك ! أنا لست على ما يرام ، ولكن أود أن أكون على ما يرام . »

فقال الطبيب : « تؤذين أن تكوني على ما يرام من أجل آرتز ؟ »

فتبسمت لوسي في رقة وقالت : « نعم يا حاك من أجل آرتز . »

فكلف سيوارد انيسامة وسألها : « لوسي ، يمم تشكين ؟ »

« لستة أنها تشكو من نوم ثقيل أشبه بالنموت . من أخلام مرعجة لا تستطيع أن .. حسنا تستيقظ .. من إزهاق وشخوب .. من صبي في النفس ، وإحساس .. »

« فحسها سيوارد سم يحذ سنا لهذه الأغراض ، فيما عدا عصتي حشرة في عنقها .. ربهني المنصر ، كما أن ضغط الدم كان منخفضا . »

« الطبيب نفسه . « أكون قد فقدت كمية من الدم ؟ »

« من بعد الاحتمال كل ما تمكن عمله هو أن يأخذ بعض من دمها ويرسده إلى مخصصه . وجاء التقرير في اليوم التالي متصفا أنه ليس في دمها شيء غير طبيعي . « فحسها سيوارد : « يمكن أن يكون السست نفسيا ؟ يمكن أن تفرص بسبب أنها تشوهم أنها مريضة ؟ »

« مع ذلك فقد كان يشك في هذا الاحتمال . كان يعتقد أن هناك أمرا غير عادي في .. وليس هناك إلا رجل واحد يستطيع معالجة الحالات غير العادية . إنه أستاذة .. مديقة فان هيلسينغ في أمستردام . على أي حال ، فإن الأمر يبدو خطيرا ، ومن .. لوسي لآند أن يندل كل محاولة ممكنة . نعم سوف يستدعي فان هيلسينغ . »



وصل ألروفيسور أبراهام فان هيلسينغ إلى هيلينغدون بعد ثلاثة أيام ، وأقام فيها فترة كافية لفحصي لوسي التي كان يراها بمفردها ، ثم عاد بعد ذلك مباشرة إلى أمستردام . ولم يقل ألروفيسور كثيرا بعد فحصها ، ولكن سيوارد أحس أنه لم يصيغ وقت الرجل العظيم هباء ، فقد أثارت أحواله اهتمامه ، وطلب أن يوفى بتقارير يومية عن حالة لوسي . وفي اليوم التالي بدا أن لوسي في تحسن . لقد كان فان هيلسينغ رقيقا معها ، وقد وضعت فيه ثقته . والواقع أن الرجل كان موحيا إلى الشكيات الصغيرة . وبعد ذلك بيوم استطاع الدكتور سيوارد أن يبعث إليه تقرير بصحبة مريضا من التحسن في حالتها ، كما لو كانت الشحابة القائمة المحيطة عندها قد بدأت تمشع وتزول .

ولكن إذا كانت لوسي قد بدأت تتحسن ، فإن رينيند لم يكن كذلك ، فعند حادث هروبه انحصت مغرباته إلى حد كبير ، فقد كان يروي في زكي كتمثال بلا حياة ، ولم يكن يتحدث إلا قليلا . ولقد حاول الدكتور سيوارد أن يخبره أخيانا لكن يتكلم ، ولكن كان كل ما يقوله هو « لقد تركي ! ليس هناك أمل لي ! قد تركي . »

وفي اليوم الثالث لزيارة هيلسينغ عاود المرض لوسي واشتد بها حتى إن سيوارد بعث برفقة إليه بطلت فيها أن يأتي على الفور . واستجاب ألروفيسور ووصل في المساء التالي حيث قاده سيوارد إلى حجرة لوسي بالصادق الغنوي . وكانت تبدو في حالة منه لم تغهد من قبل . كانت شديدة الشحوب ، حتى إن شفتيها وحلقها لم بعد لها نور . كانت تنفس بطريقة تشير إلى الأسى والألم فيمن يراها أو يسمعها ، بل إنها بدت وكأنها تكاد تفقد القدرة على الكلام . وقد فحصها فان هيلسينغ وهو صامت ، ثم خرج من الحجرة يتبعه سيوارد . وكان يوشك أن يبدأ حديثه حينما صرقت أصدعهما صوت مضطرب وإذا بأثر هولموود بصعد لستم وثنا ، وبادر يقول : « لقد عجلت بالتحضور فذر ما استطعت ، ومنتع عني أنها أسوأ حالا ! »

فاجاب فان هيلسينغ : « إنها تواجه أعظم خطر أيها الشاب . »

فصاح آرثر : « خطر ؟ ولكن ماذا يؤمننا أن نفعله ؟ إنني عني استعداد بتقديم أجر مفر من دمي لإتمامها . »

فقال ألروفيسور : « أيها السيد العزيز ، أما لا أتلك أن تقدم مثل هذا القدر ليس بحر قفزة من دمك ، ولكن يؤ أن الدم هو الشيء الذي تحتاج إليه فعلا . إن ما في جسدها من دم لا يكاد يكفي لكي يظل قلبها نابضا . إن دم شاب معافى مثلك هو الذي تحتاج إليه . أرحوك ياسيد هولموود — وأطش أنك السيد هولموود — أن تخلع سترتك فدا . لا بد أن تقوم مباشرة بعملية نقل دم بأدكتور سيوارد . »

حلح آرثر سترته دون أن يفوه بكلمة ، وبدأ يثني كم قميصه ، وكانت لوسي المستكية قد بلع منها الكبرص حدا لم تعد تشعر معه بالفتحة التي أخذتها الطيبان في عها لنقل الدم إليها . ولكن بعد مضي عشر دقائق بدأ الدم يتدفق من ذراع آرثر إليها فعمد اللون إلى وجهها الشاحب ، وبدأ تنفسها ينظم ، وقال ألروفيسور : « وآلا ، سترك الآسة لوسي لنام ، وسوف أعود عدا لإراها ولكن أماما شيئا آخر لا بد أن نعنه قبل أن تصرف . »

وبرل ألروفيسور إلى الطابق السفلي ثم عاد ومعه صندوق ، فوضعه فوق سرير لوسي . ومن لها منتسما : « هيا أفتحيه . »

فبحث لوسي الصندوق ، وفاتت وهي تمد يدها لتخرج منه بعض الأزهار الصغيرة النساء . « أهذه لي ؟ أه يا دكتور فان هيلسينغ ! يالك من عطوف ! »

فرد الطبيب : « نعم يا عزيزي ، إنها لك . ولكنها من أجل مرضك وليست من أجل الاستمتاع بها . شمتها . »

فرفعت لوسي الأزهار إلى أنفها ، ولم تكذ شمتها حتى صاحبت . « أف ! إنها أزهار الثوم . إنها من الثوم العادي . أهى دعاية يا ألروفيسور ؟ »



وأحدث سيوارد الدهشة حين رأى أن فان هيلسنع لم يصححت ، بل على العكس بدا  
خفه حدًا ريتا بصورة لم يعهدها من قبل ، ووضع يده على يد أوسبي وقال : « إنها  
نسبت دعاية هناك سب وراء كل ما تفعله ، وأنا أختبرك لا تفصي لي أمرا أطلقه من  
، لا هبثك سوف تعرض نفسك لحظر الموت نعم ! بل لما هو أسوأ »

ولما لاحظ أنه قد أفرغها بكلامه استمر يقول بصوت أرق : « لا تخافي ! إنما  
أحاول أن أساعدك ، إن لهذه الأزهار العادية قوة كبرى » وكان الذي فعله البروفيسور  
بذلك مما لا يوجد في أي كتاب من كتب الطب التي قرأها سيوارد هذا بدأ بإغلاق  
جميع النوافذ ثم أخذ بعد ذلك خفة من الأزهار ومسح بها النوافذ وأبواب وأسمدة  
متحًا شاملاً .

قال سيوارد : « وآل يانوفيسور ، أنا نعلم أنك لا تفعل شيئًا على الإطلاق ، لا  
سب نفسي ، وعمل من دواعي سروري أنه ليس معي الآن طبيب آخر ليرى ما تفعله .  
.. أن معي صبيًا آخر لعل بك أغترلت منهمة الطب وأصبحت ساجرًا ، إنك تبدو كما  
. كنت نحاول أن نطرد روحًا شريرة »

فأجاب فان هيلسنع في هذوء : « لعلني أفعل ذلك . »

ول ذلك وهو يشكل من نية الأزهار عقدًا ، ثم طوق به عنق أوسبي قائلاً : « مهما  
يكن ما تفعلينه السنة فلا تفتحي النوافذ أو الأبواب ولا تترجي عقد الأزهار من خون  
عنقك . إنها مسألة حياة أو موت ! »

وفي اليوم التالي وصل فان هيلسنع إلى المستشفى في الساعة الثانية سكي يصحب  
نحور سيوارد إلى ممر وسنرا ، حيث استفسرهما السيدة وسنرا قالت السيدة : « أمل  
أن نجد أوسبي أخس حالًا لقد تطبقت الآن إلى حجرةتها فوجدت أنها بائمة نومة  
هادئة ، ولذلك لم أشتأ أن أوقفها . »

فقال البروفيسور وقد بدا عليه السرور : « إذا فعلاجي يسير سيرًا مرضيًا . »





## الفصل الحادي عشر

كانت الأيام القليلة التالية قاسية بالنسبة للدكتور جاك سيوارد . كان يقضي وقته بين المستشفى نهاراً وهيلينغدون ليلاً ، ولقد كان من الممكن أن تكون المهمة أيسر لو أنه كان يعلم بم يخترع لوسي ، ولكن كان هيلينغدون لم يذكر له ما يوضح الأمر .

وفي صبيحة كل يوم كان صندوق من زهور الثوم الطازجة يصل من هولنده في برلين حاص ، وكان سيوارد يفعل بها مثلما فعل البروفيسور في أول ليلة تماماً . ولم يكن ميالاً إلى هذه العملية ؛ إذ كانت تبدو غير قائمة على أساس علمي . وكان الدكتور سيوارد من الأطباء الذين يلزمون بالعلم ، ولكن الطواهر كانت تدل على أن العملية مخدبة ، فقد أخذ لوسي يسترد لونه الطبيعي يوماً بعد يوم ، بل إن الحرحيش الصغيرة اللدني في عنقها أحدا يلتزمان . ولكن الليالي كانت مرهقة له ، فقد استيقظ عدة مرات على أصوات عربية كان يبدو أنها آتية من خارج نافذة لوسي ، وفي أول الأمر كان يظن أنه عصن شجرة تحت نافذة بسبب الريح ، ولكنه في الليلة التالية تأكد أنه لا توجد شجرة ، وكان الصوت يبدو في بعض الليالي أشبه برقرة أجنبية .

وكذلك كان رينفيلد سبياً في بعض المتاعب ، ففي أحد الأيام جاء في تقرير الدكتور هيسي مساعد الدكتور سيوارد أن رينفيلد قد هاجم رجليه على حين غفلة . كان يسير في حديقة مع الممرض المكلف برعايته حينما لمح هذين الرجلين يسوقان عربة في الطريق بدم من كاهنكس فأنقصر عنيهما ، وتدخل الممرض بسرعة وحدث رينفيلد بعيداً عن الرجلين . ورأى الدكتور هيسي أنه قد يكون من الحكمة أن يسمح الرجلين بعض النوم ، وأن يحتفظ بأسمعهما من قسب الاختياط فيما تو حدثت فيما بعد أية مشكلة . وفي وقت مبكر من إحدى الليالي كان سيوارد يخلس في مكتبه يلقي نظرة على صحيفة مساء قبل أن يذهب إلى هيلينغدون كعادته . كان يقرأ في الصحيفة قصة دثب كان قد هرب بوا من حديقة الحيوان بلندن ، وكان الثعبان يكاد يغلبه بسبب الإزهاق الذي خل به من كثرة الثغائر ، ولذلك بدا كأنما يرى في المنام الدثب يقتحم الحجرة . وفجأة

فردت السيدة وسيراً وهي تتنسيم : « لعله علاحي أنا . لقد ذهبت إلى حجرتها في ليلة الماضية قبل أن أذهب للنوم فوجدتها تامة في هدوء . ولكن لم يكن هناك هواء نقي في الحجرة ، وكانت تنتشر فيها رائحة نفادة متعنة من بعض أزهار حول عنقها ، ففكرت أن ذلك سوف يصير بالطبيعة المسكية وهي في هذه الحال من الضعف ، لذلك استعذت الأزهار وفتحت النافذة قليلاً . اعتقد أنك سوف تسر حين تراها . أنا واثقة . »

وما إن سمع فان هيلينغدون قولها حتى اكتسى وجهه بشحوب كشحوب الموتى ، ولم يقرب شيئاً ، ولكن سيوارد لاحظ أن الرجل يحاول أن يخفي مشاعره . كان البروفيسور على علم بأحوال السيدة وسيراً ، ويعلم الخطر الذي يتهددها إذا فوجئت بما يصدمها . ولكن ما إن غادرت الحجرة حتى صعد السلم وثبا إلى حجرة لوسي . وبينما كان الدكتور سيوارد يزعج الستائر كان فان هيلينغدون يتحس فوق لوسي التي كانت لا تزال نائمة . قال البروفيسور وهو ينظر إلى وجهها الشاحب :

« هذا ما كنت أخشاه . ولكنها ، على الأقل ، لم تفقد الكثير في هذه المرة حاك ، إني مضطر إلى العودة إلى أمستردام اليوم . عليك أن تنام في هذا المنزل كل ليلة . وسوف أبعث بصديق من أزهار الثوم الطازجة كل يوم ، فافعل كما فعلت أنا في الليلة الماضية تماماً . سوف أعود بعد أربعة أيام أو قبل ذلك إذا دعت الحال ، فقم على جراتها بعناية . »

فسأل سيوارد : « على جراتها ؟ أخرسها من ماذا ؟ أو ممن ؟ »

قال ذلك وهو يشعر بشيء من الخوف وعدم الاطمئنان ، فقال البروفيسور : « الأحمس يا جاك أن تقول ممن . لقد كنت دائماً طائفاً حاضراً للديهة ولكن أمانت الكثير مما تتعلمه . »

قال هذا ثم ذهب .



فَتَحَ الْبَابَ ، وَخَدَّتْ افْتِحَامًا فَعَلًا — فِي الْحَقِيقَةِ لَا فِي الْمَنَامِ — لَمْ يَكُنِ الْمُفْتَحُجِمُ دُثًا ،  
وَإِسْمًا كَانَ يَنْعِيْدُ وَهُوَ يَتَدَوَّى فِي صِرَاوَةِ الدُّثْبِ ، وَفِي يَدِهِ شَيْءٌ يَلْمَعُ وَصَاحَ سِيَوَارْدُ : « آه  
يَا إِلَهِي ! »

لَقَدْ كَانَ رَيْنَيْلْدُ يُنَمِّسُ فِي يَدِهِ سِكِّينَ مَطْجَحٍ وَحَاوَلَ سِيَوَارْدَ أَنْ يَحْمِلَ الْمُنْصَدَةَ  
حَاتِلًا بَيْنَهُمَا ، وَلَكِنْ رَيْنَيْلْدُ كَانَ أَسْرَعَ فَوْجَهُ صَرْنَةً إِلَى دِرَاعِهِ الْيُسْرَى ، فَبَادَرَ سِيَوَارْدُ  
وَأَلْتَقَطَ بِمِصْبَاهِ الْحَجَرِ الثَّقِيلِ ، الَّذِي يُشْتَبُّ بِهِ الْأَوْرَاقُ ، مِنْ فَوْقِ الْمَكْتَبِ وَبَادَرَهُ بِصَرْبِهِ بِهِ  
طَرَحَتْهُ أَرْضًا ، فَتَمَدَّدَ لِرُجُلٍ وَوَجَّهَهُ إِلَى الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ طَارَ السِّكِّينَ مِنْ يَدِهِ ، وَهَكَذَا  
دَهَشَتْ لِحْظَةُ الْخَطَرِ . وَبَيْنَمَا كَانَ سِيَوَارْدُ وَاقِفًا فِي دُهُولٍ مِمَّا حَدَثَ ، قَانَصًا دِرَاعَهُ  
الْمَخْرُوحَةَ ، سَمِعَ وَفَعَ أَقْدَامَ رِجَالِهِ وَهُمْ يَخْرُونَ فِي الدَّهْشِيرِ . كَانَ يَشْتَقُّ بِالْأَلَمِ ، وَالْذَّمَاءِ  
تَشْرِفَ مِنْ خُرْجِهِ عَلَى الْأَرْضِ حَيْثُ يَرْتَقِدُ رَيْنَيْلْدُ .

وَجَيْمًا دَخَلَ الْخُرَاسُ الْخُحْرَةَ رَفَعَ رَيْنَيْلْدُ رَأْسَهُ فَكَشَفَ فَمَهُ الْمَلْطُوحَ بِالدَّمِ ، إِذْ كَانَ  
يَشْتَرِبُ — وَهُوَ مُنْقَى عَلَى الْأَرْضِ — مِنْ دِمَاءِ الطَّيِّبِ الَّتِي كَانَتْ تَقْطُرُ فَوْقَ أَرْضِيَّةِ  
الْخُحْرَةِ . وَبَيْنَمَا كَانُوا يَقْدِرُونَ بَعِيدًا كَانَ يَصْرُخُ قَائِلًا : « الدَّمُ هُوَ الْحَيَاةُ . »

وَعَشِيَ سِيَوَارْدُ إِنْخِسَارًا بِالْعَثَبِ ، وَامْتَدَّتْ الْأَيْدِي إِلَيْهِ لِحَوْلِ يَنُوهٍ وَبَيْنَ السَّقُوطِ ، ثُمَّ  
عَابَ عَنِ الْوَعْيِ فَلَمْ يَذْكُرْ شَيْئًا .

حِينَئِذٍ تَبَّهَ سِيَوَارْدُ كَانَ يَخْلُسُ فِي سَرِيرِهِ وَهُوَ يَشْتَقُّ بِالضَّعِيفِ وَالْوَهْنِ وَعِلَّةُ فَقْدِ  
الدَّمَاءِ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَفْقِدُ ، وَلَمَّا بَطَرَ فِي سَاعَتِهِ وَحَدَّ أَنَّهَا الْعَاشِيرَةُ ، وَهُوَ الْوَقْتُ الَّذِي  
كَانَ يَتَّبَعِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ فِي هِيلِينْدُونِ ، وَلَكِنْ هَلْ عَاقِبَتُهُ تُسَمِّحُ لَهُ بِالذَّهَابِ ؟ وَدَخَلَ  
الدُّكْتُورُ هِيلِيسِي الْخُحْرَةَ وَقَالَ :

« هِيلِينْدُونِ ؟ مُسْتَحِيلٌ يَا عَرَبِي سِيَوَارْدُ . إِنَّهُ وَاحِي الَّذِي لَا مَرَأَةَ فِيهِ — كَطِيبٌ —  
أَنْ أُخْبِرَكَ بِضَرُورَةِ الْبَقَاءِ فِي الْفِرَاشِ . »

وَأَحِيرًا أَتَّفَقَ أَنْ يَذْهَبَ الدُّكْتُورُ هِيلِيسِي بِفَضْلِهِ إِلَى هِيلِينْدُونِ ، قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ، لِيَرُورَ  
مَنْزِلَ وَسَيَرَا

كَانَ لَأَنْدَ أَنْ يَقْصِي شَخْصًا مِمَّا لَمِثِلَ هَذَا وَلَكِنْ سِيَوَارْدُ لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ  
هِيلِيسِي الْكَثِيرَ عَنْ حَالَةِ لُوسِي ، إِذْ إِنَّ الْأَرْوَحِيَّاتِ كَانَ قَدْ أُعْطِيَ تَعْلِيمَاتِهِ حِينَ قَالَ  
« لَدِي حَدَثَ فِي هِيلِينْدُونِ يَحْتَاجُ أَنْ يَتَّقَى سِرًّا لَا يُدْعَى » وَفَوْقَ هَذَا ، فَإِنَّ سِيَوَارْدَ لَمْ  
يَشَأْ أَنْ يَعْرِفَ الْأَصْدَاءَ الْآخَرُونَ شَيْئًا عَنْ هَذَا « السُّخْرِ » الَّذِي يُعَارَسُ عَنْ طَرِيقِ « زُهْر  
الْوَهْنِ » . وَبِذَلِكَ ، وَرَعَى فِي الْتَشَرُّ طَلَبَ الدُّكْتُورِ هِيلِيسِي أَنْ يُخْبِرَ لُوسِي بِأَنْ تَقُومَ بِعَمَلِ  
إِلْخِرَاءَاتِ الْمَفْهُودَةِ ، عَلَى أَمَلٍ أَنْ تَفْهَمَ هِيَ مَا يُرِيدُ .

لَمْ يَمُتْ سِيَوَارْدُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ بَلْ مَرِيحًا بِدِرَاعِهِ الْمَخْرُوحَةِ ، وَحِينَئِذٍ أَذْرَكَهُ الْعَاسُ  
أَحِيرًا لَمْ يَهْنَأْ بِالرَّاحَةِ إِلَّا قَلِيلًا ، إِذْ إِنَّ بَرْقِيَّةً وَصَلَتْ فِي سَاعَةِ مُبَكَّرَةٍ . وَقَالَ الصَّبِيُّ الَّذِي  
حَمَلَهَا إِنَّ الْبَرْقِيَّةَ كَانَتْ يَنْبَغِي أَنْ تُسَلِّمَ فِي مَسَاءِ الْيَوْمِ السَّابِقِ لَوْلَا أَنَّهَا أُرْسِلَتْ حَتْمًا فِي  
فَرِيَّةٍ أُخْرَى تُحْمِلُ نَفْسَ الْأَسْمِ . وَجَاءَ فِي الْبَرْقِيَّةِ

« إِنْخِرَاصٌ عَلَى وَجْهِكَ فِي هِيلِينْدُونِ اللَّيْلَةِ . إِنَّ الْأَمْرَ فِي عَابَةِ الْأَهْمَةِ . سَوْفَ أُصِلُ  
مُسْكِرًا فِي صَبَاحِ التَّاسِعِ عَشَرَ »

فَإِنْ هَيْسَنُوعُ

« صَاحَ سِيَوَارْدُ : « بِإِثْنِهِ يَقْصِدُ اللَّيْلَةَ الْحَاصِيَةَ . تُرَى مَاذَا كَانَ قَدْ هَيْسَنُوعُ  
فِي » وَلَمْ يَنْظُرْ لِنَاقُولِ الْإِفْطَارِ ، وَبَيْنَمَا أَسْتَقْبَلُ الْعَرَةَ مُدْشِرَةً إِلَى هِيلِينْدُونِ . وَكَانَ  
الْوَقْتُ لَا يَرَالُ مُسْكِرًا ، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُوقِفَ لُوسِي أَوْ وَالِدَتَهَا ، وَلِذَلِكَ دَقَّ الْحَرَسُ بِرَفْقٍ  
عَلَى إِحْدَى الْخَادِمَاتِ تَسْمَعُهُ فَتَفْتَحُ لَهُ الْبَابَ ، وَلَكِنْ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ أَسْتَجِدَّةً ، فَدَقَّ  
الْحَرَسُ مَرَّةً ثَابِتَةً دُونَ حَذْوِي . فَدَسَّ أَذُنَهُ فِي صَنْدُوقِ الْحَصَابَاتِ لَعَلَّهُ يَسْمَعُ أَوْ يَرَى  
شَيْئًا ، وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ كَانَ فِي صَمْتِ الْقُبُورِ . فَأَحْسَنُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ أَنْ تُفَرَّجَ سَبِيلًا قَدْ  
حَدَثَ ، وَأَحَدٌ يَدُورُ حَوْلَ الْمَنْزِلِ لَعَلَّهُ يَجِدُ بَاعِدَةً مَفْتُوحَةً وَلَكِنْ تَعْلِيمَاتُ هَذَا هَيْسَنُوعُ  
هَاتَتْ تَعْدَدَ بِدَقَّةٍ ، وَكُلُّ الْمَعَادِ كَانَتْ مُوَصَّدَةً بِعَاقِبَةٍ وَرِخْكَامٍ . وَبِمَارَالٍ حَتَّى وَصَلَ إِلَى  
خُحْرَةِ السَّيِّدَةِ وَشَتَرَ الَّتِي اخْتَبِرَتْ لَتَكُونَ فِي الطَّرِيقِ الْأَرْضِيِّ لَكِنِّي تَشَحَّبْتُ صَعِيدًا . سَلِّمِ  
لِمَرْصُهَا وَفَوْقَ ذَلِكَ بَاعِدَةً الْخُحْرَةَ مُخْطَمَةً ، وَأَنْ فَوْقَ رُحَايَهَا بَقِصَ فَطْرَاتٍ مِنْ



الدم ، وأن هناك آثار أقدام حيوان في حوض الزهور الذي يقع تحت النافذة ، ومن المحتمل أن تكون آثار أقدام كلب ، أو لغتها — وإن بدت المفكرة سخيفة — آثار أقدام دئب .

وأخذ سيوارد يتطلع فيما حوله . وكان الهدوء يسود المنزل والخديقة بطريقة غير عادية . وأخشى لكي يتأمل في آثار الأقدام بعناية أكثر ، وإذا به يستمع في نفس اللحظة صوتا يحيى من حليمه ، هتافا ، متأهبا للدفاع عن نفسه ، فلم يحد أمانه إلا فان هيلسينغ ، فقص عليه في عبارات مؤخزة ما حدث بشأن رينولد والترقية التي تلقاها . قال فان هيلسينغ وهو يصغ يده خلال النافذة المحطمة : « أخشى أن تكون قد وصنا بعد هوان الأواب . »

ثم فتح النافذة ، وتسلق كلاهما واحدا بعد الآخر إلى الداخل . كانت لوسي وأنها ممددتان فوق السرير ، وكانت تلبس على وجه السيدة وسترا بطرة رغب رغبة لم ير سيوارد مثلها قط ، فلما جس يدها وحدها ميتة . وكانت تقص يدها الأخرى بقوة على عقيد من الزهور . ولابد أنها — في لحظة مزع — استطاعت أن تصل إلى آتتها ، وأن تمد يدها فتشترع الزهور التي كانت حول عقمها .

كانت لوسي ترتد بحوارها ، وكان الحرحاب اللدان في عقمها ، واللدان كانا قد بدأ يلتصقان ، مفتوحين على سعة ، وفيهم مظهر الشيء المتهوش وأمسك فان هيلسينغ يدها ووضع أذنه ملاصقة لصدرها ، ومصنبت الثوابي كأنها ساعات قبل أن يهتف قائلا : « لم يفت الألوان بعد . أسرع وهات بعض الكحول . »

وهرع سيوارد إلى خجرة الطعام ، فرأى فيها منظرًا رآل الدهشة التي كانت تملكته حين ذق الخرس دون محجب . رأى الخاديمات ممددات على الأرض ، فأنحى فوقهن ليشم رائحة أنفسهن ، فاكتشف أن محذرا قد وضع في شراهن فجعلهن يستغرقن في النوم . وأخذ سيوارد رجاجة وعاد إلى خجرة النوم حيث أخذ فان هيلسينغ يدها بالسائل

يدي لوسي ودراعيتها ووجهها ، وحينئذ أخبره سيوارد بما حدث للخاديمات ، فقال له فان هيلسينغ :

« ذهبت فتهنن ، فخر في حاجة إلى ماء ساخن ، إذ لابد أن تبقى لوسي دافئة ، ثم استدع السيد هولموود فربما استطعنا أن نقيدها . ولكن ينبغي أن يكون مستعدا للاستواء . »

ولما كانت لوسي في حالة إغيا شديد فقد رأى أنه ليس من مصلحتها أن يتقل إليها دما طارحا ، ولذلك أثر أن يتركها في نومها ، وجلس سيوارد يراقبها . وكان من الغريب أن هرائها جعل أسنانها تلبس أطول وأخذ مما كانت من قبل . ولكن حينما فتحت عينيها أخيرا بدت الفتاة الشابة البديعة التي كان يعرفها ويحبها .

كان آرثر شجاعا ، فقد جلس مع لوسي طوال الوقت ولم يكشف ملامح وجهه عما كان يفعل في قلبه من حزن وأسى . ودخل فان هيلسينغ بعد ذلك وطلب منه الذهاب إلى خجرة الخلوس ليحاول أن يأخذ قسطا من النوم ، على حين بقي سيوارد مع لوسي . وفي حوالي الساعة السادسة صباحا دخل فان هيلسينغ حتى يتيح له فرصة للراحة ، ثم حل الكمديل الحريري الذي كان قد عقده حول عقمها وهتف : « انظر . »

وتطلع سيوارد إليها فملكته شعور غريب بارد ، إذ رأى أن الجرحين المذنب كانا حول عقمها قد اختصا تماما ، فقال فان هيلسينغ في أسى : « إنها تموت الآن . إنها لحظات مفارقة الحياة . ذهبت فأيقظ صديقها الشاب حتى يكون بجوارها في هذه اللحظة . »

وأخذ فان هيلسينغ — بما يتمتع به من كياسة وتقدير — يسرخ شعرها حتى أصبح مرسلا حول رأسها في موحات ذهبية ، وحينما جاء آرثر فتحت عينيها وقالت في صوت حافت : « آرثر ياخيبي ! »

فأنحى آرثر ليقلها ، ولكن فان هيلسينغ الذي كان يراقبه عن كلب سارع فأوقفه قائلا : « لا ! ليس الآن ! أمسك بيدها فقط . »



وَأَعْمَصَتْ لُوسِي عَيْنَيْهَا ، وَبَدَأَ عَلَيْهَا التَّعَاسُ ، وَلاحَظَ سِيوَارْدُ لَمَعَةَ النَّارِ الْخَالِيَةِ الشَّعِيرَاتِ  
الْغَرِيبَةِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ طَرَأَتْ عَلَيْهَا فِي أَثَاءِ اللَّيْلِ : لَحْدُ الْمَشْدُودِ ، وَالنَّهْمُ الْمَفْتُوحِ ،  
وَالْأَسَانُ الطَّوِيلَةُ الْخَادَّةُ .

ثُمَّ تَكَلَّمَتْ لُوسِي ثَانِيَةً فِي صَوْتٍ نَاعِسٍ رَقِيقٍ : « آرثر ، قَبْلَنِي . »

وَعِنْدَمَا أَخَذَ آرثر عَيْنَهَا فَتَحَتْ عَيْنَيْهَا ، وَعِنْدَمَا رَأَى سِيوَارْدُ كَيْفَ أَصْحَحَتْ عَيْنَهَا  
أُصِيبَ بِصَدْمَةٍ فَقَدْ أَصْبَحَتْ جَامِدَتَيْنِ مُتَخَفِفَتَيْنِ . أَمَّا قَدِ هِيلْسِينْغُ فَقَدْ لَاحَظَ شَيْئًا  
جَعَلَهُ يُسَارِعُ إِلَى آرثر قُلُّ أَنْ يَقْبِضَهَا فَيُخْبِذَهَا إِلَى الْوَرَاءِ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ وَهُوَ يَهْتَفُ  
« لَا مِنْ أَجْلِ حَيَاتِكَ ! مِنْ أَجْلِ رُوحِكَ الْحَيَّةِ ! »

كَانَ سِيوَارْدُ يُرَكِّزُ عَيْنَيْهِ عَلَى وَجْهِ لُوسِي ، فَشَاهَدَ طَلًّا مِنَ الْعَصَبِ يَنْتَرُ عَيْنَ وَجْهِهَا ،  
وَرَأَى أَسْنَانَهَا الْخَادَّةَ تَنْطَلِقُ . وَلَمْ تَنْصُرْ إِلَّا هَيْهَاتَهُ حَتَّى عَادَتْ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ : الْفَنَاءُ  
الْمُتَحَدِّثُ الْمَهْوُوكَةُ كَمُشْرِفَةٍ عَلَى الْمَوْتِ . وَحَاوَلَتْ أَنْ تَنْتَسِمَ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَمْلِكُ  
الْقُوَّةَ لِنَتْسِيمِ . كَانَ الْأَمْرُ كَمَا لَوْ أَنَّ هَٰذَا أَتَمَّ مِنْ لُوسِي تَعِيشَانِ فِي يَدَيْ وَاحِدٍ .

وَقَالَ قَدِ هِيلْسِينْغُ فِي صَوْتٍ رَقِيقٍ لَارْتَر : « تَعَالِ يَا بَنِي ، خُذْ يَدَهَا فِي يَدِكَ وَقَبْلِهَا  
الآن ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الشَّفَقِ وَتَكُنْ قُلَّةً وَاحِدَةً . »

وَفَعَلَ آرثر كَمَا قَالَ ، وَمَا لَشَتْ أَحْمَامُ لُوسِي أَنْ تَطْلُقَتْ ، وَصَارَ تَفْسُهَا ثَقِيلًا ،  
حَتَّى تَوَقَّفَتْ أَنْفَاسُهَا أَحِيرًا .

وَقَالَ سِيوَارْدُ فِي صَوْتٍ مُتَهَذِّجٍ : « لَقَدْ اكْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ . »

مَرَدَ قَدِ هِيلْسِينْغُ : « لَا ! كُنْتُ أَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ هُنَا هِيَ النَّهَاةُ ، وَلَكِنَّهَا —  
فَقَطْ — مُجَرَّدُ بَدَايَةٍ . »

## الْفَصْلُ الثَّانِي عَشَرَ

لَمْ يَكُنْ لِلُوسِي وَأُمُّهَا أَسْرَةٌ تَتَوَلَّى شُؤُونَ الْجِمَارَةِ ، وَقَدْ وَافَقَ مُحَامِيهَا عَنْ طَيْبِ حَاطِرٍ  
عَلَى أَنْ يَقُومَ الدُّكْتُورُ سِيوَارْدُ بِهَذِهِ الْمُهْمَةِ ، وَخُذَّ لَهَا الْيَوْمَ التَّالِي . وَحَتَّى حُلُولِ مِيعَادِ  
الْجِمَارَةِ كَانَتْ لُوسِي تَرْقُدُ فِي حُجْرَتِهَا بَيْنَ طَلَقَاتِ كَثِيرَةٍ مِنَ الرَّهْرِ الْيَبَسِ وَشُمُوعِ  
يَبِصَاءِ طَوِيلَةٍ ، وَقَدْ عَادَ إِلَيْهَا بَعْدَ مَوْتِهَا كُلِّ مَا كَانَتْ تَتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ خَمَالٍ . بَلْ إِنَّهَا كَانَتْ  
أَجْمَلَ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَذْوِيَ جَسَدُهَا بِالْمَوْتِ ، كَانَ — كُلَّمَا مَضَتْ  
السَّاعَاتُ — يَتَلَوُّ وَكَأَنَّهُ يَعُودُ إِلَى الْحَيَاةِ .





وفي هذا المساء ، وبينما كان سيوارد يقف مع فان هيلسينغ أمام الحُجَّة تصل إليهما الرائحة العطرة التي تنشرها الأزهار والشموع المُحرَّقة ، قال سيوارد : « أنا لا أستطيع أن أصدق أنني أنظر إلى جسد ميت . »

فرد فان هيلسينغ : « لعل من الخير أن نُفكر في الأمر هكذا . »

وترك فان هيلسينغ الحُجَّة ، ثم عاد ومعه صندوق أزهار الثوم الذي وصل ذلك الصباح من هولنده كالعادة ، وقال : « إن واجبنا نحوها لم ينته بالموت . »

وصل آرثر مُبكراً في صباح يوم الجِمار ، وكانت روحه المعنوية في غاية السوء ، وكان في أشد الحاجة لكل عون يُمكن أن يقدمه أصدقائه . دخل معهم لكني بيري لوسي ، وأخذته الدهشة للمرة الثانية من مظهرها . فلقد بدا جمالها رائعاً ، حتى ليتمكن القول إنه كان رائعاً بطريقة تُثير الخوف .

وفي هذا الصباح وصلت رسالة مُعنونة باسم لوسي ، وعرف آرثر أنها يخطبينا ففتحها وقرأها عليهما . والواقع أنها لم تتضمن الكثير ، فيما عدا أن مينا تزوجت في بودابست ، وأنها عادت هي وجوناثان إلى إنكستر .

ولكن فان هيلسينغ أبدى اهتماماً وقال : « لابد أن أقابنها ، وسوف أطلب منها الحصول على لندن ، فتلها تستطيع أن تُخبرني بأشياء أريد معرفتها . »

أما من حيث جِمار لوسي وأُمها فليس هناك الكثير الذي يُقال ، فبعد أن دُفنا في مقبرة أسرة وسترا عاد آرثر إلى لندن لرعاية والده ، وعاد الدكتور سيوارد إلى المُستشفى . أما فان هيلسينغ فقد كان من الغريب أنه — بالرغم من كثرة مشاعله — لم يكن راعياً في العودة إلى أمستردام .

وسأل سيوارد عما إذا كان من المُمكن أن يُقيم معه فترة ، وقال إنه يأمل أن يُدبر لقاء مع مينا . ولكن سيوارد أحس أن هذا لم يكن السبب الوحيد في رغبته في الإقامة ، ونساءل في نفسه : « أترأه يرغب في الانتظار لأنه يتوقع حدوث شيء ؟ »

وفعلاً حدث شيء بعد أسبوع من الجِمار . شيء لم يكن يمس حياتهم من أية ناحية ، وإنما بدا ذا أهمية لفان هيلسينغ .

كانا يجلسان في مكتب الدكتور سيوارد ذات مساء يتناولان الشاي في هدوء كالعادة ، وكان الطيب يقرأ صحيفة لندن المسائية التي كان يجب الاطلاع عليها في هذا الوقت كل ليلة ، وسأل سيوارد :

« هل قرأت عن حوادث الاعتداء على الأطفال التي وقعت في لندن ياروبيسور ؟ يبدو أن عدداً من الأطفال في شمال لندن قد اختفوا وهم يلعبون ، وكان يُعثر عليهم بعد بضعة ساعات ، وفي مُتصيف الليل عابثاً ، وهم في حالة من الشحوب والإعياء يرثي لها ، وفي أعضائهم خروج . »

وكرر سيوارد العبارة الأخيرة : « وفي أعضائهم خروج » ثم سأل : « أليس هذا مُثيراً ؟ » واصل كلامه : « وكان كل من الأطفال يقول — بعد أن يُميق — إنه قابل سيِّدة ، وإنها ذات تأخذه ليتمشي معها ، ولكن لم يكن أي من هؤلاء الأطفال يستطيع أن يتذكر ما حدث له بعد ذلك . »

وتناول فان هيلسينغ الصحيفة وقرأ القصة كاملة بعناية ثم سأل : « ما رأيك في هذا الموضوع ؟ »

فأجاب سيوارد : « ليست لدي فكرة ، فيما عدا أن الحالة تبدو أشبه قليلاً بحالة لوسي . »

فقال هيلسينغ : « أشبه قليلاً فقط ؟ هل تقصد أنها الصديق أنك — بعد كل ما رأته — لا تزال ليست لديك فكرة عن كيفية موت لوسي الجسكية ؟ »

قال سيوارد : « لقد ماتت بتيحة لما فقدته من دم . »

قال فان هيلسينغ : « وكيف فقدت دمها ؟ »

سكت سيوارد ، فقال فان هيلسينغ : « إنك رجل ذكي يا صديقي ، ولكنك تُنظر



## القسم الرابع

### لندن

#### الفصل الثالث عشر

أحد قان هيلسينغ ينظر إلى الدكتور سيوارد فتصطدم نظراته مباشرة بعيني عاصيتي ،  
 ثم يكتفئ يسيرا على سيوارد أن يتقبل عقله سهولة فكرة أن الفتاة التي أحياها يوما  
 دماء دماء لها حم صغار الأطفال تشرب دماءهم . وكان قان هيلسينغ واثقا أنه ليس  
 في مكتبة الدكتور سيوارد أي مريح يتصمم مغومات عن مصاصي الدماء ، ولكن هذا لا  
 ينفع . إنهم غير موحودين . إنهم موحودون ، وعلى قان هيلسينغ أن يثبت ذلك . صحيح  
 أن هناك الكثير الذي لا يعرفه هو نفسه عن هذا الموضوع بعد ، ولكن هناك حقيقة  
 واضحة له وهي أنه كان هناك في البيئة التي تحيط بهم مصاص دماء واحد ، أما  
 أن هذا المصاص هناك أنساب ، وفي الأسبوع القادم أو الشهر القادم قد يصبح هناك ثلاثة أو  
 أربعة أو خمسة ، وهو الوحيد . أبراهام قان هيلسينغ من مستردام ، الذي يستطيع أن  
 يبرهن هذا التكاثف ، ولكنه في حاجة إلى من يعاونه .

قال قان هيلسينغ في رقة : « يا صديقي ، إن الحقيقة قد يكون حملها شاقا ، وأنا لا  
 أريد — وأنت أحد العلماء — أنه يمكنك أن تصدق شيئا بدون برهان ، ولكني  
 أسمع أن أقدم لك هذا البرهان إذا جئت معي . »

سأله سيوارد في ارتياب : « إلى أين ؟ »

فأجاب قان هيلسينغ : « أولا إلى مستشفى شمال لندن لكي نرى أحد الأطباء . »

سأله سيوارد : « وبعد ذلك ؟ »

فكان جواب قان هيلسينغ أن أخرج من جيبه مفتاحا كبيرا ورفعه في يده ، ولم يكذب  
 سيوارد يرى المفتاح حتى شحب لونه ، فقد كان مفتاح المقبرة ، وقال في صوت  
 خفيض : « ما هذا ؟ »

إلى الحياة نظرة صيقة . إنك تطرأ أن العلم يقدم لنا إجابات عن كل شيء ، ولكنك  
 مخطئ . فهناك أشياء كثيرة لا يستطيع العلم أن يصل إليها ، وأنت لا تريد أن تراها . إن  
 كلا من لوسي وهؤلاء الأطفال فقدوا دماءهم بسبب الخروج التي في أعناقهم . وآلان  
 أخبرني ، من الذي أخذت هذه الجروح ؟ »

قال سيوارد : « لقد سمعت عن خفافيش في أمريكا الجنوبية تمتص دماء الناس أو  
 الحيوانات في أثناء نومهم بهذه الطريقة ، ولكن ليس لدينا في إنجلترا مثل هذه  
 الخفافيش . »

فقال قان هيلسينغ : « أصبت يا صديقي جاك ، ولكن إذا لم يكن الذي امتص دماء  
 لوسي من الخفافيش مصاص الدماء ، فماذا يكون إذا ؟ »

فلاذ سيوارد بالصمت لحظة ، ثم استدار بوجه شاحب كسيف نحو قان هيلسينغ  
 وقال : « أريدني أن أعتقد أن مصاص دماء .. أن رجلا مصاص دماء هو الذي أخذت  
 هذه الجروح ؟ ولكني لا أؤمن بوحود مصاصين للدماء من البشر . إننا لا نعيش في عالم  
 الأساطير والقصص الخرافية . إنه لا ينفذ في أشياء كهذه إلا مخنون . »

فنظر قان هيلسينغ إلى سيوارد مخروبا وقال : « كنت أتمنى أن أكون مخونا ولا  
 أضطر إلى القول بأن لوسي قد قتلت حقيقة بيد مصاص دماء . ولكن ، ليس هذا كل  
 شيء . » وهنا غطى وجهه يديه كما لو كان غير راعب في الاستمرار في الحديث ، ثم  
 قال : « لا نعلم أن مصاص الدماء الذي شرب دماء هؤلاء الأطفال هو نفس مصاص الدماء  
 الذي شرب دم لوسي . »

فقال سيوارد : « ماذا تعني يا برويسور ؟ »

فأجاب : « أعني يا دكتور سيوارد أن مصاص الدماء الذي اعتدى على هؤلاء الأطفال  
 هو لوسي نفسها ! »



« لا تيسر إلى هناك ؟ لم يمتص على مؤنّها إلا أسبوع ! كان من الممكن أن ترور المقبرة لو أن الميت شخص آخر ، أما هي فلا . لقد كانت جميلة وهي ميتة ، وأنا أحيى أن أحتفظ بذكرها وهي على هذه الصورة ، لا على الصورة التي أصبحت عليها الآن . »

فقال فان هيلسينغ : « يا صديقي إنه يسب حيث لها أظن منك الآن أن تأتي معي . وإذا لم تكن قد استعصما أن تُنقذ حياتها ، فمن الواجب علينا الآن — على الأقل — أن نحاول إنقاذ روحها . »

وصل فان هيلسينغ والدكتور سيوارد إلى المستشفى حوالي الساعة السادسة . وكان الطفل في تحسن مستمر . وكشف الطبيب الذي يتولى علاجه عن عنقه ، وأراهما آثار الخروج فيه ، ولم يكن هناك أي شئ في أنها كانت تشبه تلك التي كانت في عنق لوسي . ولما سأل فان هيلسينغ الطبيب عن رأيه في سب حدوث هذه الآثار أجاب :

« لا يمكن إلا أن يكون حيوان ما ، كالعنكبوت مثلاً . كما يمكن أن يكون حفاشاً ، ولكن ليس بالطبع من الخفافيش المحلية ، وإنما من نوع أجنبي ، فهناك كثير من الناس يخصيرون إلى إنجلترا حيوانات غريبة من أنحاء مختلفة من العالم ، بل يمكن أن يكون حيوان هارياً من حديقة الحيوان . نعم ، فمنذ أسبوع أو أسبوعين فقط هرب منهم ذئب ، اعتقد أنهم مهملون غاية الإهمال . »

كانت الشمس تميل للغروب حينما عادرا المستشفى وتوجها نحو هامسند ، التي تقع على ربوة تطل على لندن من الشمال . سارا في شوارع حالية مظلمة حتى نلعا رقاقاً صغيراً في أحد جانبيه جدار . وتطلعا حولهما فلما لم يجدا أحداً في الرقاق تسلفا الجدار إلى حيث توجد المقابر .

كان فان هيلسينغ يعرف وجهته تماماً ، وما هي إلا لحظات حتى كان الرجلان يقفان أمام مقبرة وستيرا . فاشتعل البروفيسور شمعة وفتح الباب ، ثم انحنى جانباً وأشار بيده للدكتور سيوارد — مجاملة مئة وتادياً — لكي يدخل أولاً . وبدا على وجه سيوارد أنه

يرحّب بهذه اللقطة من التأديب وحسن السلوك ، ولكن لم يستغ إلا لامتثال فأخذ الشمعة ودخل .

كانت المقبرة — عندما شاهداها في المرة السابقة حين دُفنت لوسي — مكاناً مفضلاً على الرغم من أن ذلك كان في ضوء النهار ، وعلى الرغم من عتق الزهور الصغيرة هناك ، فكيف يكون الحال وقد دبّت الزهور وحال لوثها ؟ وكيف يكون بعد أن فقدت المصنعة والحاسن والتساوير التي توشى تابوت لوسي بريقها ؟ وسأل سيوارد : « ماذا تعتزم أن تفعل ؟ »

فأجاب البروفيسور : « راقب ، وسوف ترى . »

ثم فتح التابوت من أغلاره ، وكان تحت الفتحة عطاء من الرصاص يحيط بالحثة تماماً . وكان البروفيسور قد أخذ أخته فأخضر معه ما يلزم من أدوات لمواجبة الموقف ، فشرع يقطع الرصاص ، ثم توقف حين رأى الدكتور سيوارد يتسلل من حواره ويرجع متجهاً نحو باب المقبرة وهو يقول في صوت مرتجف : « بروفيسور ، إنها ميتة منذ أسبوع ، ولست أزعج في رؤيتها ثانية . »

فقال البروفيسور : « ابق هنا ما لم تكن حائماً من مواجهة الحقيقة . » وانتهى فان هيلسينغ من عمل الفتحة ، ثم قطع الجزء الذي يقع تحت وسط العطاء الرصاصي ، ولم يكن هناك أي عاز ، لم تكن هناك أي رائحة لسموت .

قال البروفيسور : « والآن سوف أجذب أحد طرفي الرصاص ، وتقف أنت في مواجعتي لتجذب الطرف الآخر وحينئذ سوف ترى ما ترى . »

وهكذا جذبا الرصاص من جانبي القطع كليهما ، وإذا بالتابوت خال ، فقال فان هيلسينغ : « البرهان الأول ! تعال ! اتبعني ! »

ومضى البروفيسور ، يتبعه صديقه الصامت المذهول إلى خارج المقبرة ، وسأله أن ينفقها ، ثم قال له : « والآن سوف نتطير ، وإذا وقفنا تحت هذه الأشجار على مسافة قريبة من المقبرة فإنا نستطيع أن نرى أي شيء يحدث . »



وَانْتَظَرَا ، وَطَالَ الْإِنْتَظَارُ ، وَسَمِعَا سَاعَةً تَدُقُّ الْقَائِيَةَ عَشْرَةَ ، ثُمَّ تَدُقُّ الْوَاحِدَةَ ، ثُمَّ الْقَائِيَةَ . وَلَا يَدُّ أَنَّ السَّاعَةَ كَانَتْ قَدْ قَارَبَتْ الْقَائِيَةَ حِينَمَا أُطْبِقَتْ يَدُ قَان هِيلْسِينغ عَلَى دِرَاع سِيوارْد ، ثُمَّ أَشَارَ لَهُ إِلَى شَكْلِ أَيْصَ يَتَحَرَّكُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ عَلَى بُعْدِ عِشْرِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ مِثْرًا . وَخَرَجَ قَان هِيلْسِينغ مِنْ تَحْتِ الْأَشْجَارِ وَتَقَدَّمَ بِهِ ، وَبَدَأَ كَأَنَّهُ رَأَى ، فَتَوَقَّفَ ثُمَّ تَهَقَّرَ إِلَى الْوَرَاءِ وَاحْتَمَى ، فِي نَفْسِ اللَّحْظَةِ الَّتِي تَعَثَّرَ فِيهَا قَان هِيلْسِينغ وَسَقَطَ فَوْقَ شَيْءٍ مُلْقَى فِي مَعْرِ مِنْ الْعُشْبِ الطَّوِيلِ . وَحِينَمَا سَمِعَ سِيوارْد صَيْحَةَ الدَّخْنَةِ الَّتِي أُطْلِقَهَا قَان هِيلْسِينغ خَفَّ إِلَيْهِ مُسْرِعًا ، وَاشْتَعَلَ عُدُوهُ يُقَابِ ، وَإِذَا فَوْقَ الْأَرْضِ طِفْلٌ صَغِيرٌ لَا يَرَاهُ فِي سُبَاتٍ غَمِيقٍ ، وَصَاحَ الْيُورُفِيسُورُ وَهُوَ يَنْهَضُ مِنْ فَوْقِ الْعُشْبِ . « الْيَرْهَانُ الثَّانِي ! ! »



وَقَالَ سِيوارْد تَعَدُّ أَنْ فَخَصَ الطِّفْلَ : « لَيْسَ بِالْعُنَى أَيُّ أَمْرٍ . »

فَقَالَ الْيُورُفِيسُورُ : « لَمْ يَتَسَيَّعْ لَهَا الْوَقْتُ ، وَلَكِنْ ، إِذَا لَمْ يَكُنِ الْيَرْهَانُ الثَّانِي كَامِلًا مَتَوَفَّ أَمْرَكَ الْيَرْهَانُ الثَّلَاثُ ، وَحِينَئِذٍ ، لَعَلَّكَ تَفْشَعُ . »

وَكَانَ الطِّفْلُ لَا يَرَاهُ نَائِمًا ، فَهَدَّ لَهُ سِيوارْد مَكَانًا فَوْقَ الْعُشْبِ ، وَتَبَعَ قَان هِيلْسِينغ إِلَى الْمَقْبَرَةِ . كَانَتْ الشَّمْسُ قَدْ بَدَأَتْ تَطْلُعُ حِينَمَا فَتَحَا الْبَابَ ، وَلَكِنْ الطَّلُوعُ كَانَتْ حَوْلَ الْقَابُوتِ كَمَا كَانَتْ مِنْ قَبْلُ ، فَقَالَ الْيُورُفِيسُورُ : « أَشْتَعِلْ عُدُوهُ يُقَابِ . »

وَفُوحِي سِيوارْد بَأَنَّ الْقَابُوتَ لَمْ يَكُنْ خَالِيًا كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ لُوسِي تَرْقُدُ فِيهِ وَهِيَ تَدُو بِمِثْلِ مَا كَانَتْ تَدُو قَتْلَ الْجَارَةِ تَمَامًا . كَانَتْ — لَوْ كَانَ هَذَا مُمَكِّنًا — أَكْثَرَ خِمَالًا مِنْهَا فِي أَيِّ وَقْتٍ مَضَى ، فَهَلْ يُنْكِرُ أَنَّ يَكُونُ هَذَا وَخَهُ فَتَاةً إِنْقَضَى عَلَى مَوْنِهَا سِتْعَةُ أَيَّامٍ ؟ وَجَدَّ قَان هِيلْسِينغ شَمِئَهَا إِلَى الْخَلْفِ كَأَنَّهُمَا عَنْ أَشْدَانِهَا ، وَقَالَ : « انْظُرْ إِلَيْهَا أَشْهُ بِحَذِّ السُّكْرِ . كَمْ مَرَّةً ، يَادُكْتُورُ سِيوارْد ، يَنْمِي أَنَّ تُعْرِسَ هَذِهِ الْإِنْسَانُ فِي عُنُقِ طِفْلٍ حَتَّى تُؤْمِسَ أَنَّ مَعَا الْآنَ مَصْطَاةُ دِمَاءٍ مُنْعَطِشَةٍ إِلَى الدِّمِّ ، وَأَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَقْصِي عَنْهَا بَهَائِيًا ؟ »

كَانَ سِيوارْد يَدُو وَكَأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْنَعَ عَيْنَهُ مِنَ التَّطَلُّعِ إِلَى هَذَا الْجَمَالِ الشَّرِيرِ لِهَذَا الْخَسَدِ الْقَاوِي فِي ذَلِكَ الْقَابُوتِ . ثُمَّ سَأَلَ : « يُورُفِيسُورُ ، مَاذَا يَتَّبِعُنِي عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ ؟ »

فَأَجَابَ الْيُورُفِيسُورُ : « تَرَعُ رَأْسَهَا مِنْ جَسَدِهَا ، وَتَمَلَأُ مِنْهَا بِالْثُومِ ، وَتَعْرِسُ قِطْعَةً سَمِيكَةً مِنَ الْحَشَبِ لِتَعْلَمَ فِي قَلْبِهَا . وَلَكِنْ لَيْسَ الْآنَ ، فَلَسْنَا مُسْتَعِدِّينَ لِذَلِكَ بَعْدُ . ثُمَّ إِنَّمَا — بِسَبَبِ الْمَحَاطَرِ الَّتِي تُوَاحِشُهَا — فِي حَاجَةٍ إِلَى مُرِيدٍ مِنَ الْعَوْنِ ، وَفَوْقَ هَذَا ، فَإِنَّ الَّذِي أُطْلَعْتُ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ لَا يَدُّ أَنَّ يَطْلُعَ عَلَيْهِ آرْتِرُ هُولْمُود . لَتَرْخِلِ الْآنَ . »

وَهَكَذَا أَعْلَقَا الْمَقْبَرَةَ ، ثُمَّ خَمَلَا الطِّفْلَ الَّذِي كَانَ لَا يَرَاهُ نَائِمًا وَوَضَعَاهُ خَارِجَ بَوَابِ الْمَقْبَرَةِ ، وَهُمْ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ الشَّرْطَةَ مَتَوَفَّ تَحْذُهُ عَاجِلًا . وَكَانَ خَمِيلًا ، أَنَّ يُجِيسَا دِفْءَ الشَّمْسِ حِينَمَا عَادَرَا الْمُرْتَفَعَاتِ ، وَسَارَا عَائِدَتَيْنِ إِلَى لَنْدُنْ



لَمْ يَكُنْ مِنْ أَلْسِنَةِ إِفْعَالٍ آتَرُ بِالْمَجِيءِ إِلَى الْمَقَرَّةِ ، وَلَكِنَّهُ جَاءَ أَحِيرًا . وَكَانَ  
الْفَصْلُ فِي ذَلِكَ لِجَاك سِيوارْد . ذَلِكَ أَنَّ فَاڤ هِيلْسِينْغْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ كَلَامَ سِيوارْدَ مَعَ آتَرُ  
سَوْفَ يَكُونُ أَوْقَعَ أَثَرًا مِنْ كَلَامِهِ هُوَ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ كَذَلِكَ أَنَّهُ لَا كَلَامَهُ وَلَا كَلَامَ  
سِيوارْدَ يُمَكِّنُ أَنْ يَقْنَعُ آتَرُ بِأَنَّ لُوسِي مُصَاصَةٌ دِمَاءً ، وَإِنَّمَا لُوسِي تَقْسُمُا هِيَ الَّتِي  
تَسْتَطِيعُ إِقَاعَهُ .

كَانَتْ السَّاعَةُ قَدْ تَجَاوَزَتْ مُتَصَفِّ اللَّيْلِ جِيْمَا وَقَفَ الرِّجَالُ الثَّلَاثَةُ حَوْلَ التَّابُوتِ .  
وَكَانَ فَاڤ هِيلْسِينْغْ يَحْمِلُ حَقِيَّةً طَوِيلَةً .  
وَقَالَ فَاڤ هِيلْسِينْغْ : « دُكُّورِ سِيوارْدَ ، جِيْمَا عَاذَرْنَا هَذِهِ الْمَقَرَّةَ صَبَاحَ الْيَوْمِ كَانَتْ  
جُتَّةُ لُوسِي فِي تَابُوتٍ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »  
أَجَابَ سِيوارْدَ : « بَلَى . لَقَدْ كَانَتْ فِي التَّابُوتِ بِأُورُوفِسُورِ . »

فَقَالَ فَاڤ هِيلْسِينْغْ بِطَرِيقَةِ الْحَوَاةِ وَالسَّحَرَةِ . « سَأَفْتَحُ التَّابُوتَ الْآنَ . »

ثُمَّ فَتَحَهُ ، وَنَظَرَ الْجَمِيعُ ، فَإِذَا هُوَ حَالٍ . وَغَشِيَ الْجَمِيعُ صَمْتٌ طَوِيلٌ ، ثُمَّ قَالَ آتَرُ  
فِي صَوْتٍ حَافِتٍ : « بَرُوفِسُورِ ، أَغْلَمُ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ لِتَنْقُلَ جُتَّتَهَا ، فَمَنْ الَّذِي نَقَلَهَا ؟  
مَنْ دَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا كَهَذَا ؟ »

فَلَمْ يُجِبْ فَاڤ هِيلْسِينْغْ ، وَإِنَّمَا خَرَجَ مِنَ الْمَقَرَّةِ وَهُمَا يَتَعَايَاهُ . ثُمَّ أَوْصَدَ الْبَابَ ،  
وَأَخْرَجَ مِنْ حَقِيَّتِهِ بَعْضَ الْخُبَرِ الْمَلْفُوفِ فِي قِطْعَةٍ قُمَاشٍ بَيْضَاءَ ، وَأَخَذَ يَطْوِيهِ بَيْنَ  
أَصَابِعِهِ ، ثُمَّ دَسَّهُ فِي الْفَرَاغِ الَّذِي بَيْنَ الْبَابِ وَخَجَرِ الْمَقَرَّةِ الَّذِي يُحِيطُ بِهِ ، وَكَذَلِكَ  
فِي ثَقْبِ الْقَفْلِ ، وَقَالَ وَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ :

« هَذَا خُبْرٌ مُقَدَّسٌ يُورِكُ فِي الْكَنِيسَةِ ، وَسَأَغْلِقُ الْمَقَرَّةَ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ أَيُّ كَائِنٍ  
شَرِيرٍ أَنْ يَدْخُلَهَا . »

فَسَأَلَهُ آتَرُ وَهُوَ لَا يَرَى تَحْتَ تَأْثِيرِ الصَّدْمَةِ الَّتِي أَصَابَتْهُ بِسَبَبِ احْتِفَاءِ جُتَّةِ لُوسِي :  
« وَمَاذَا يَقْدِرُ ذَلِكَ ؟ »

فَأَجَابَ فَاڤ هِيلْسِينْغْ : « وَالْآنَ اسْتَعِيدُوا ، فَإِنَّكُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَى قُدْرَةِ عَقْلِيَّةٍ عَالِيَةٍ ،  
فَهِيََا بَا تَنْتَظِرُ خَلْفَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ حَيْثُ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرَى الْمَقَرَّةَ . »

كَانَ فَاڤ هِيلْسِينْغْ يَتَحَدَّثُ كَمَا لَوْ كَانَ يَعْرِفُ ثَمَامًا مَا الَّذِي سَيَحْدُثُ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ فِي  
أَوْقَاتِ نَفْسِهِ يَشْعُرُ بِالشُّكِّ وَالْخَوْفِ . لَقَدْ كَانَ فِي حَالَةِ الْجَذَابِ إِلَى أَعْمَاقِ سَحَابَةٍ مِنْ  
الْعَالَمِ اللَّاطِئِيِّ . عَالَمِ اللَّامُوتِيِّ الَّذِي يُطْلَقُ عَلَى مُصَاصِي الدِّمَاءِ . وَحِينَمَا نَظَرَ حَوْلَهُ  
كَانَ يُحَالِحُهُ شُعُورٌ بِأَنَّهُ لَمْ يَرْ قَطُّ فِي اللَّيْلِ مَكَانًا مِثْلَ هَذَا يُنْبِئُ بِشَرٍّ كَثِيرٍ . كَانَتْ أَحْجَارُ  
تَمُورٍ يَلْمَعُ نِيَّاصُهَا كَمِثْلِ عِظَامِ الْمَوْتَى ، وَكَلَمَا هَبَّتِ الرِّيحُ خُيَلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَسْمَعُ حَرَكَةَ  
أُخْبَةٍ تُرْفَرُ ، وَحَرَكَةَ أَشْيَاءَ فِي الْغُشْبِ تُرْخَفُ ، وَيُقِنُّ أَنَّهُ مَا كَانَ لِيَسْتَطِيعَ أَنْ يَطْلُ  
فِي هَذَا الْمَكَانِ لَوْ أَنَّهُ كَانَ وَحْدَهُ .

لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَنْسُ بِكَلِمَةٍ ، بَلْ إِنَّ الرِّيحَ تَوَقَّضَتْ أَحِيرًا وَخَلَّفَتْ وَرَاءَهَا سُكُونًا  
كَسُكُونِ الْأَخْلَامِ ، وَأَنْقَضَتْ سَاعَةً أَعْقَبَهَا صَوْتٌ .

كَانَ جَاك سِيوارْدَ قَدْ شَهَقَ حِينَ لَمَحَ شَيْئًا ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ . كَانَ هُنَاكَ عَلَى مَسَافَةٍ مِنْهُمْ  
شَكْلٌ أَيْضًا يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ صَفْهَيْهِ مِنَ الْأَشْجَارِ حَامِلًا شَيْئًا مَا بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ ، ثُمَّ تَوَقَّضَ فِي  
نُفْعَةٍ انْعَكَسَ عَلَيْهَا صَوْتُ الْقَمَرِ ، فَإِذَا الْعَشْهَدُ هَذِهِ الْمَرَّةَ وَاضِحًا كُلُّ الْوُضُوحِ . كَانَتْ  
سُدَّةٌ دَاثَ شَجَرٍ دَهَبِيٍّ ، تَأْتِرُ بِقُمَاشٍ أَيْضًا كَقُمَاشِ الْأَكْمَانِ ، وَتَتَقَدَّمُ إِلَى الْأَمَامِ  
مُنْسَكَّةً بِطِفْلِ صَغِيرٍ ، وَتَقْدَمُ السَّيِّدَةُ حَتَّى أَصْبَحَتْ قَرِيبَةً مِنْهُمْ بِحَيْثُ أَمَكَّهُمْ أَنْ  
يَسْمَعُوا .. كَانَتْ لُوسِي .

وَلَكِنْ لُوسِي الَّتِي تَغَيَّرَتْ كَثِيرًا كَانَتْ شَفَتَاهَا تَقْطُرَانِ بِدِمَاءِ الطِّفْلِ الطَّارِحَةِ ، وَكَانَ  
الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهَا حَتَّى صَبَغَ الْقُمَاشَ الْأَيْضَ الَّذِي تَأْتِرُ بِهِ .



وَتَقَدَّمَ قَالِ هِيلْسِينغَ لِحَطُوتِ إِلَى الْأَمَامِ ، وَمَا كَادَتْ تَرَاهُ حَتَّى انْسَحَبَتْ إِلَى الْخَلْفِ  
مُحْبَذَةً رَمَحَرَةً غَاضِيَةً ، وَأَلْقَتْ الطِّفْلَ الَّذِي كَانَتْ — حَتَّى الْآنَ — تَحْتَمِطُ بِهِ بَيْنَ يَدَيْهَا  
كَمَا يَحْتَمِطُ الْكَلْبُ بِعَظْمَةٍ ، فَصَرَخَ صَرَخَةً أَلِيمَةً تَأَثَّرَ لَهَا آرْتَرُ ، فَأَطْلَقَ بِذَوْرِهِ صَيْحَةً لَمْ  
تَكُذْ لُوسِي تَسْمَعُهَا حَتَّى تَغَيَّرَتْ ثَانِيَةً . فَقَدْ رَأَتْ آرْتَرَ وَمَدَّتْ إِحْدَى يَدَيْهَا تَحْوَهُ بِطَرِيقَةٍ  
عَصَوِيَّةٍ ، بِفِصْرٍ طَرِيقَةٍ لُوسِي الَّتِي أَلَمَهَا ، ثُمَّ قَالَتْ : « آرْتَرُ ، دَعْ أَصْدِقَاءَكَ وَتَعَالَ  
مَعِي . »

كَانَتْ هُنَاكَ نَعْمَةٌ حَيَوَةٌ فِي صَوْتِهَا ، بَلَغَ مِنْ حَلَاوَتِهَا أَنَّ قَالِ هِيلْسِينغَ تَفَسَّهُ شَعْرَ  
بِالْجَذَابِ إِلَيْهَا . أَمَّا آرْتَرُ فَقَدْ وَقَفَ كَأَنَّمَا مَسَّهُ سَيْحَرٌ فَتَسَمَّتْ لَهُ ثَانِيَةً ، فَتَقَدَّمَ  
خَوَهَا ، وَلَكِنَّ قَالِ هِيلْسِينغَ كَانَ بِالْمِرْصَادِ ، وَقَبْلَ أَنْ تُطْلِقَ لُوسِي بِأَسَانِيهَا عَلَى عُنُقِ  
آرْتَرِ وَتَلْبَ إِلَى الْأَمَامِ رَافِعًا أَمَامَهُ صَلْبِيَّةَ الذَّهَبِ الصَّغِيرَ وَلَمْ يَكُذْ يَفْعَلْ ذَلِكَ حَتَّى  
صَرَخَتْ صَرَخَةً ضَائِبَةً كَمَا لَوْ كَانَ قَدْ لَسَسَهَا حَدِيدٌ عَمَّى أَحْمَرٌ ، وَفَقَرَتْ إِلَى الْوَرَاءِ ،  
ثُمَّ خَرَّتْ تَحَوَّ بَابِ الْمَقْفَرَةِ ، وَلَكِنَّهَا تَوَقَّعَتْ هُنَاكَ ثَانِيَةً إِذْ إِنَّ قَالِ هِيلْسِينغَ كَانَ قَدْ آذَى  
سِلْمَهُ سَحَاجٍ . وَأَخِيرًا لَمْ تَحْذِ مَعْرًا مِنْ أَنَّ ثَخْرِي جِلَالٌ طَلَّ شَجَرَةً . وَكَانَ كُلُّ مَا  
سَمِعُوا أَنْ يُشَاهِدُوهُ مِنْهَا هُوَ بِيَاضِ أَسَانِيهَا وَهِيَ تَلْمَعُ فِي الطَّلَامِ .

وَسَادَ السُّكُونُ حَيْثُ صَارَ كُلُّ مَنْ الْحَيِّ وَالْأَمَيَّةِ فِي حَالَةٍ دُهُولٍ . وَفِي النِّهَايَةِ  
أَسْتَدَارَ قَالِ هِيلْسِينغَ تَحَوَّ آرْتَرَ — وَالصَّلِيبُ لَا يَزَالُ مَرْفُوعًا فِي يَدِهِ — وَسَأَلَهُ فِي صَوْتٍ  
مُرْتَجِفٍ : « هَلْ أَسْتَمِرُّ فِي عَمَلِي ؟ »

فَجَبَّتْ آرْتَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَعَظَى وَجْهَهُ بِيَدَيْهِ قَائِلًا : « إِنْفَعَلْ مَا تَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَارِمٌ . لَنْ  
يَكُونَ هُنَاكَ مَا هُوَ أَسْوَأُ مِمَّا رَأَيْتَ . »

وَعَادَ أَلْبِرُونِسُورَ إِلَى بَابِ الْمَقْفَرَةِ ، وَأَخْرَجَ بَعْضًا مِنَ الْخُبَيْرِ الْمُقَدَّسِ ، وَفَتَحَ الْبَابَ  
قَلِيلًا . أَمَّا لُوسِي فَكَانَتْ كَأَنَّمَا اخْتَدَبَتْهَا قُوَّةٌ قَاهِرَةٌ لَا تَسْتَطِيعُ الصُّمُودَ أَمَامَهَا ، فَدَلَقَتْ  
مِنْ ظِلَالِ الْأَشْجَارِ عَائِلَةً إِلَى الْمَقْفَرَةِ وَاحْتَفَتْ مِنْ خِلَالِ الْفَرَاغِ فِي فَتْحَةِ الْبَابِ ،



وَحِينَذْ أَعَادَ الْكُورُفِيسُورُ الْخُبْرَ إِلَى مَكَانِهِ وَأَغْلَقَ الْبَابَ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ ، لَيْسَ أَمَامَنَا مَا نَسْتَطِيعُ عَمَلَهُ قَبْلَ بُرُوجِ صَوْنِ الشَّهَارِ . إِنَّهَا لَا نَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ الْآنَ فَهِيَ مَنُهَوَكَةٌ ، وَلَعْنَةُ صَنِيعَةٍ وَاجِبَةٍ بِسَبَبِ أَنَّهَا لَمْ تَذُقْ مَا يُشْبِعُهَا لِجُمْدَةِ لَيْلَتَيْهِ ، وَسَرْعَانَ مَا يُدْرِكُهَا الْعَاسُ ، وَجَبَدَ سَوْفَ تُؤَدِّي مَهْمَسًا . »

وَيَتِمَّا كَانَ الرَّحَالُ الثَّلَاثَةُ يَنْتَطِرُونَ بُرُوجَ الشَّمْسِ كَانَتْ الْأَفْكَارُ الصَّارِيَّةُ تَحُولُ فِي أَذْهَانِهِمْ . ثُمَّ طَهَرَتْ حُمْرَةُ السَّمَاءِ وَبَرَعَتْ شَمْسٌ ، وَتَنْتَظَرُ كُلُّ مَنْ سِيوَارْدَ وَآرْتِرَ صُدُورَ كَلِمَةٍ مِنَ الْكُورُفِيسُورِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَنْدُ عَيْنُهُ أَنَّهُ مُعَجَّلٌ فِي الشَّرُوعِ فِي الْعَمَلِ . وَأَحِيرًا أَخْرَجَ سَاعَتَهُ الذَّهَبِيَّةَ الثَّقِيلَةَ وَنَظَرَ فِيهَا ثُمَّ قَالَ : « إِنَّهَا السَّادِسَةُ وَالْخَمْسُونَ لَيْلًا نِصْفُ سَاعَةٍ . »

كَانَتْ لُوسِي مُسْتَعْرِفَةً فِي نَوْمِهَا ، وَكَانَتْ حَمِلَةً مِثْلَمَا كَانَتْ دَائِمًا . أَمَّا آرْتِرُ فَكَانَ شَاجِبًا حَتَّى يُخَيَّلَ إِلَيْكَ أَنَّهُ هُوَ الْمَيِّتُ . وَحِينَمَا نَظَرَ فَوْقَ التَّابُوتِ أَحَدَ يَنْحَنِي غَلَانِيَّةً . وَلَكِنْ قَدْ هِنَسِيْنَعُ لَمْ تُكُنْ أَحَاسِيْسُهُ كَأَحَاسِيْسِ آرْتِرَ ، وَإِنَّمَا كَانَ بَصَرُهُ مُرَكَّزًا عَلَى الدَّمِ الْخَافِ الَّذِي يُلَطِّحُ فِيهَا . فَتَحَ الْحَقِيْقَةَ وَأَخْرَجَ بَعْضَ الْأَلَاتِ الْعَظِيْمَةِ وَالْمَبْصِغِ وَقَطَعَهُ خَشَبَ عَلِيْطَةٍ مُدْبِيَةِ الطَّرَفِ يَنْتَعُ طَوْلِهَا سَخَوَ مِثْرَ ، وَمِطْرَفُهُ ثَقِيْلَةٌ ، وَقَالَ :

« مَصَاصُ الدَّمَاءِ لَا يَمُوتُونَ بِإِنْقِصَاءِ الْعُمُرِ ، وَلَكِنَّهُمْ يَسْتَمِرُّونَ فِي الْحَيَاةِ ، يَتَعَدُّونَ بِالدَّمَاءِ ، وَيُحَوِّلُونَ غَيْرَهُمْ إِلَى مَصَاصِي دِمَائِهِمْ . وَهَكَذَا تُشْعِجُ دَائِرَةُ اللَّامُوتِيِّ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ ، وَهَؤُلَاءِ الْأَطْفَالُ الَّذِينَ شَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ بَنَ يَنْتَرُوا كَثِيرًا ، أَمَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ شَرِبُوا دِمَائَهُمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَإِنَّهُمْ يَسْتَمِرُّونَهَا ، فَيَتَعَدُّونَ حَتَّى مَصَاصِ دِمَائِهِمْ وَمَنْ ثُمَّ يُصْبِحُونَ مَصَاصِي دِمَائِهِمْ بَعْدَ أَنْ يَمُوتُوا . أَمَّا أَنْتَ يَا صَدِيقِي آرْتِرُ فَلَوْ أَنَّكَ كُنْتَ مَخْتَنًا بِنَفْسِكَ لَكَانَ فِي ذَلِكَ خَطَرٌ أَيْ خَطَرٌ عَلَيْكَ ، وَلَكِنْ هُنَاكَ طَرِيقًا لِكَيْ تُخَرَّرَ رُوحُ اللَّامِيَّتِ تُخَرِّجُهَا مِنْ حَيَاةِ كُنْهَا شَرًّا ، وَمِنْ آجِرَةٍ كُنْهَا عَذَابٌ أَبَدِيٌّ . » ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْمِطْرَفَةِ قَائِلًا

« اَعْتَمِدْ أَنْ أَمَامَكَ عَمَلًا مُقَدَّسًا يَقُومُ بِهِ أَنْ تَصْرَبَ صَرْبَتَكَ وَتَقْبِذَ رُوحًا . إِنْهُي اسْتَطِيعَ أَنْ يَقُومَ بِذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَلَيْسَ مِنَ الْأَفْضَلِ لِدَيْكَ الَّذِي أَحْبَبْتَهُ كَثِيرًا أَنْ يَقُومَ هُوَ بِهِ لِيَحْلُصَهَا بِنَفْسِهِ ؟ »

فَقَالَ آرْتِرُ : « يَا صَدِيقِي الْوَفِيُّ ، أَخْبِرْنِي بِمَا أَفْعَلُ وَسَوْفَ أَقُومُ بِهِ . »

فَقَالَ قَانِ هِيلْسِيْنَعُ : « رَحَّلْ شِجَاعًا . خُذْ قِطْعَةً مِنَ الْخَشَبِ هَذِهِ وَصْنَعْ طَرَفَهَا الْمُدْبِيَّةَ عَلَى قَلْبِهَا بِإِخْدَى يَدَيْكَ ، وَحِينَمَا أَنْتَهِيَ مِنْ تِلَاوَةِ الصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ مِنْ كِتَابِ الصَّلَوَاتِ هَذَا اصْرَبْ بِاسْمِ اللَّهِ . »

وَمَعَ أَنْ آرْتِرُ كَانَ لَا يَرَى شَاجِبًا ، فَإِنَّهُ أَخَذَ قِطْعَةً مِنَ الْخَشَبِ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ ثَابِتَةٍ وَالْمِطْرَفَةَ بِيَدٍ أُخْرَى . وَبَدَأَ قَانِ هِيلْسِيْنَعُ فِي تِلَاوَتِهِ يَتِمَّا سَاعِدَ الدُّكْتُورِ سِيوَارْدَ فِي وَصْنَعِ الْحَشَةِ فَوْقَ الْقَلْبِ مُبَاشَرَةً .

وَمَا إِذْ أَنْتَهَى الْكُورُفِيسُورُ مِنَ الصَّلَاةِ حَتَّى صَرَبَ آرْتِرُ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ مِنْ قُوَّةٍ . فَاهْتَرَّ الْحَسَدُ الَّذِي فِي التَّابُوتِ اهْتِرَارًا غَيْفًا كَمَا لَوْ كَانَ تَعَرَّضَ لِصَدْمَةٍ كَهَرِيْبَةٍ ، وَانْفَتَحَ الْعَصَمُ لِيُطْلِقَ صَنِيعَةً خَعَلَتْ شَعْرَ رُؤُوسِهِمْ يَقِفُ كَأَنَّهُ شَعْرَ فَرْجَوْنٍ . وَأَخَذَ الْحَسَدُ كُلَّهُ يَتَقَلَّبُ بِنَمَّةٍ وَيَسْرَعُ ، وَأَحْدَتِ الْأَسْنَانُ الْحَادَّةُ تَنْفَرُحُ وَتَنْطَلِقُ ، حَتَّى آخَمَرَتْ الشَّعْتَانِ بِمَا أَتَشَقَّ مِنْهُمَا مِنْ دَمٍ . وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ آرْتِرَ لَمْ يَتَوَقَّفْ ، وَكَانَتْ يَدُهُ الْيُمْنَى تَرْتَفِعُ بِالْمِطْرَفَةِ ثُمَّ يَهْدِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ كُلَّمَا تَوَعَّلَ طَرَفَ الْحَشَةِ أَعْمَقَ ثُمَّ أَعْمَقَ ، حَتَّى سَكَتْ حَرَكَةُ الْحَسَدِ الصَّارِيَّةِ تَمَامًا ، وَأَنْتَهَى الْأَمْرُ .

فَالَ قَانِ هِيلْسِيْنَعُ : « قَبْلَ أَنْ تُعَادِرُوا الْمَقْبِرَةَ اأَلْقُوا نَظْرَةً آخِرَةً عَلَى وَجْهِ لُوسِي ، إِنَّهَا لَيْسَتْ الْآنَ وَاحِدَةً مِنَ عَالِمِ اللَّامُوتِيِّ . »

فَطَرَّ آرْتِرُ ، وَكَانَ مَا قَالَهُ الْكُورُفِيسُورُ صَحِيْحًا ، فَعَدَّ كُلُّ مَا كَانَ مِنْ دِمَائِهِ وَأَتَمَّ ، كَانَتْ لُوسِي تَرْقُدُ فِي سَلَامٍ لَمْ تَعُدْ مَصَاصَةً دِمَائًا ، وَإِنَّمَا صَارَتْ لُوسِي الَّتِي أَحْبَبَهَا

وَالَّتِي خَلَّصَهَا أُخِيرًا . وَمَالَ عَلَيْهَا فَقَبَّلَهَا لِلْحَرَّةِ الْأَحْيَا ، وَسَارَ مُتَابِعًا إِلَى حَارِحِ الْمَقْبَرَةِ إِلَى صَوْنِ الشَّمْسِ .

أَمَّا الطَّبِيبَانِ فَقَدْ قَطَعَ بَقِيَّةَ بَقْعَةِ الْحَشَبِ وَتَرَكَ الطَّرْفَ الْمَذْبُوبَ فِي قَلْبِهَا ، وَحَشَوْا مَعَهَا بِالثُّومِ ، وَفَصَلَا رَأْسَهَا عَنْ جَسَدِهَا ، ثُمَّ أَخْكَمَا بِعِلَاقِ التَّابُوتِ بِالْعِطَاءِ . وَبَعْدَ خُرُوجِهِمَا أَوْصَدَ أَلُرُوفِيسُورُ بَابَ الْمَقْبَرَةِ ، وَأَعْطَى آرْتَرَ الْكِفْتَاحَ ، ثُمَّ قَالَ : « لَقَدْ أَنْتَهَى أَوَّلُ جُزْءٍ مِنْ عَمَلِنَا ، وَيَبْقَى بَعْدَ ذَلِكَ الْخَرْجُ الْأَعْظَمُ .. أَنْ نَحْدِثَ سَبَبَ الْبَلَاءِ الَّذِي تَرَى بِلُوسِي ثُمَّ نُدْمِرُهُ . كُلُّ مَا أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَهُ هُوَ : هَلْ أَتَيْنَا مُسْتَعْدَّادِينَ لِتَشْعَابِي لِمُوَاجَهَةِ مَخَاطِرِ أُخْرَى ؟ »

فَقَالَ جَاكُ سِيُورْدُ : « أَيْمًا نَذْهَبُ فَأَمَّا فَعَلَك . إِنَّهُ وَاجِبٌ عَلَيْنَا أَنْ نَقْصِيَ عَلَى هَذَا الشَّرِّ . »

وَنَظَرَ الْاِثْنَانِ إِلَى آرْتَرَ ، وَلَكِنَّهُمَا لَمْ يَكُونَا فِي حَاجَةٍ إِلَى سُؤَالِهِ لَقَدْ كَانَتْ تَبْدُو فِي عَيْنَيْهِ نَظْرَةَ الرَّحْلِ الَّذِي لَا يُرِيدُ مِنَ الْحَيَاةِ إِلَّا شَيْئًا وَاحِدًا ، وَالَّذِي لَنْ يَهْدَأَ لَهُ بَالٌ إِلَّا إِذَا وَحْدَهُ .

## الفصل الخامس عشر

وَهَكَذَا حَدَّثَ قَالِ هِنْسِينِغُ حَيْثُ الصَّغِيرِ ، وَلَكِنْ أَيْنَ الْعَدُوُّ ؟ هِيَ حَانَةُ لُوسِي كَانَتْ خَطُوطُ الْمَعْرَكَةِ وَاصِحَةً ، وَالْأَمْرُ هَاهُنَا مُخْتَلِفٌ . وَمَعَ هَذَا ، فَإِنَّ قَالِ هِنْسِينِغَ لَمْ يَكُنْ سَتَظْطِيعُ الْاِنْطِطَارَ حَتَّى يَكْشِفَ الْعَدُوَّ عَنْ نَفْسِهِ . لَمَّا كَانَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ لَا يُجِبُّونَ تَرْكُضَ وَالْاِنْطِطَارَ وَفَوْقَ هَذَا ، فَقَدْ كَانَ هُنَاكَ أَثَرٌ يُمَكِّنُ أَنْ يُقْتَلَ ، أَمَّا هَذَا الْأَثَرُ فَهُوَ الَّذِي قَادَهُ فِي الْيَوْمِ الْتَالِيِ إِلَى مَحْطَّةِ يَادِيَمِيُونِ حَيْثُ اِنْتَظَرَ وَصُولَ جَوَانِبِ وَمِيَا هَارَكِرِ

كَانَ جَوَانِبَانِ مُنْذُ عَوْدَتِهِ مِنْ تَرَانْسِيْفَانِيَا يَعِيشُ فِي هُدُوءٍ . كَانَ قَدْ عَانِيَ مِنْ صَدْمَةٍ شَدِيدَةٍ ، وَلِذَلِكَ أَتَمَّنَتْ مِيَا بَعِيدًا عَنْ لِنْدِنِ . أَمَّا الْآنَ وَقَدْ نَحَسَتْ حَالَتَهُ فَقَدْ قَرَّرَتْ أَنْ يَهْبِئَهَا إِلَى لِنْدِنِ لِيَلْقِيَا بَعْدَ هِنْسِينِغِ الَّذِي كَانَ قَدْ صَلَبَ نِقَاءَهُمَا مَرَارًا

وَصَلَ الْفُطَارُ ، وَعَادُوا ثَلَاثَتُهُمْ إِلَى اِتْمَنْدُونِ الَّذِي يَنْزِلُ بِهِ قَالِ هِنْسِينِغُ . وَهِيَ الْبَدَايَةُ بِرَبِّ قِصَّةِ إِقَامَتِهَا مَعَ لُوسِي فِي هُونِيسِي وَمَا وَقَعَ فِيهَا مِنْ أَخْذٍ . وَقَدْ أُتْعِبَ أَلُرُوفِيسُورُ فِي إِغْشَابِ يَهْدِهِ كَلِمَاتِ النَّفْسِ كَانَتْ تَعْرِفُ كَيْفَ تُتَصَرَّفُ فِي تَحَوُّفِ الصَّغِيرَةِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ رَوَى جَوَانِبَانِ قِصَّتَهُ مَعَ الْكُوْتِ دِرَاكُولَا ، وَلَمْ يَسْتَعِصِمْ قَالِ هِنْسِينِغُ بَعْدَ أَنْ اسْتَمَعَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُمَ مُشَاعِرَةَ الْمُسْتَشَارَةِ فَمَسَّاهُ : « وَلَكِنْ لِمَاذَا لَمْ تُسَيِّرْ أَحَدًا يَكُلُّ هَذَا مِنْ قَبْلِ ؟ »

فَقَالَتْ مِيَا : « لُرُوفِيسُورُ ، قَدْ مَضَتْ أَسَابِيعُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَرِدَّ عَاقِبَتَهُ وَنُصْنَحَ قَادِرًا عَلَى وَابَةِ قِصَّتِهِ لِأَحَدٍ حَتَّى لِي أَسْ . ثُمَّ مِنْ بَطْلٍ أَنَّهُ كَانَ يُصَدِّقُهُ إِلَّا أَنَّهُ »

وَحِينَئِذٍ أَخْبَرَهُمَا قَالِ هِنْسِينِغُ بِكُلِّ مَا حَدَّثَ بَعْدَ مَوْتِ لُوسِي ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا : « سَوْفَ تُصَدِّقَانِ قِصَّتِي كَمَا صَدَّقْتَ قِصَّتَكُمْ ، وَلَكِنْ — كَمَا تَهْوَسُ — مِنْ عَمْرِي وَغَيْرِكُمْ يُصَدِّقُ ؟ وَهَذَا هُوَ السُّبْتُ فِي أَتْنَا بَعْضُ الَّذِينَ بَحَثُوا أَنْ تُارَلِ هَذَا الشَّرُّ . نَسِيْتُ أَصْلَ الْكَلِمَةِ أَنْ تُشَارَكَانِي فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ ، وَلَسَوْفَ نَلْتَقِي الْلَّيْلَةَ عِنْدَ الْمَذْكُورِ سِيُورْدُ . بَلْتُ بِأَسْنَدَةِ هَارَكِرِ تَعْلَمِينَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ مَا مَدَى الْخَطَرِ الَّذِي أَتَانِي أَنْ تُوَاجِهِيهِ »



فصنعت مينا إلى وجه جوناثان الشاحب الذي رَحَفَتْ إِلَيْهِ الشجاعة ، وإلى شعره  
الذي وحطه ألياص . تطلعت إليه وفي صدرها حقد على قوة الشر التي جعلت الرجل  
الذي ثجبه يندو ميبًا قبل الأول . ثم قالت : « سوف أساعدك » .

وقال جوناثان أخيرًا : « إذا ساعدتك مينا فإني سأساعدك كذلك » .

وبدا من الطريقة التي تطلق بها عبارته أنه لم يتخذ هذا القرار بسهولة ، فقال فان  
هينسيغ : « ستكون بانتظاركم في الساعة السابعة . إن ما سمعته منكما يجعلني على يقين  
أنه ليس لدينا وقت نصيغ ، وفي الواقع ربما سبق السيف العدل » .

ثم قال بعد أن تجمعا وتباحثا : « وهكذا أيها الأصدقاء ، فهذه هي الحقائق التي  
اكتشفناها عن عدونا . وطلقًا لما نكشف لنا ، فهو عدو قوي ، ولكن له مواضع  
ضعف وفوق كل شيء ، فهو في حاجة إلى مكان يستريح فيه أثناء ساعات النهار ،  
فإذا استطعنا أن نلصقه وهو في صدوقه فإننا نستطيع أن ندمره » .

فقال سيوارد : « إذا ، ولكننا قل ذلك تريد أن تعرف أين هذه الصناديق ؟ »

فرد فان هينسيغ : « نحن نعرف — والمفضل في ذلك لجوناثان — أنها على بعد بضعة  
مئات من الأمتار من الخخرة التي نجلس فيها الآن في منزل كارفاكس » .

فصاح جاك سيوارد وآرثر هولموود في وقت واحد تقريبًا : « في منزل  
كارفاكس ؟ »

كان فان هينسيغ يحب أن يُبهر دهشة سامعيه ، وقد أخذت كلماته الأثر الذي  
أراد . قال : « إن كارفاكس هو بيت دراكولا ، ولابد أن تكون الصناديق فيه » .

فقال سيوارد : « هذا يُفسر حالة بينفيلد ، لائد أن دراكولا هو الذي أثاره في ذلك  
اليوم نعم ، منذ أسبوع أو أسبوعين هرب مينا بينفيلد ، وسُفاه إلى أراضي كارفاكس ،  
إلى أبواب الكنيسة القديمة . لابد أن تكون الصناديق هناك » .

فصاح آرثر : « ماذا نحن متتظرون ؟ هيا يا . »

ولم يكن فان هينسيغ يحث الاستعجال فقال : « ليس بهذه السرعة . لابد أن نجد  
نفس أولًا » .

ثم أخرج من حيبه صليبا صغيرا ذهبيا وعلقه حول عنق جوناثان الذي كان أقرب  
إليه ، وعلق معه كذلك عقدًا من زهور الثوم أخذته من صندوق كان يخزونه ،  
وعمل الشيء نفسه مع كل من سيوارد وآرثر . فلما جاء دور مينا قال : « يا سيده مينا ،  
إن أسألك أن تشاركيا في هذه المهمة ، فهي ليست بالمهمة التي تقوى عليها النساء .  
كانت رحلتك اليوم طويلة شاقة ، ومن حقك أن تستريح » .

فدلت مينا إنها ليست مرهقة ، وإنها ترغب في الذهاب معهم . ولكن فان هينسيغ  
صرخ لرغبتها ، وخرج الرجال الأربعة وخدمهم تحت ستار الليل . كان جاك سيوارد  
يحمل معه مجموعة من المصابيح القديمة معلقة في حلقة ، وحاول أن يفتح باب  
سنة بأربعة عشر مفتاحًا ، واجدًا بعد الآخر ، فلم يفتح . أما أحامس عشر فقد دار  
في القفل فافتتح الباب إلى الداخل دون أن يدفعه أحد ، كما لو كان ثمة من يتوقع  
فيهم . وكان أول من دخل فان هينسيغ الذي رسم بيده اليسرى في الهواء علامة  
السلام . كانت الأرض مغطاة بطبقة سميكة من التراب مما جعل كثيرًا من أثر  
أقدامهم التي وطنتها وأصحة عليها ، وكان أحدها أكثر وضوحًا لقرب عهده . أما الشيء  
الذي لم يطاره من أكثر من غيره فقد كان الرائحة السخا ، إذ لم يكن جوناثان يشمها  
حتى قال : « إنها أنفاسه ، إني أذكر رائحتها جيدًا » .

ففتحت أظفارهم على القصور على الشيء الذي جاءوا من أجله ، فقد كانت صناديق  
مرصوصة بجوار الحدار واحدًا فوق الآخر . ولكن كم كان عددها ؟ فقد أظهروا  
بعض التعاجل أن تسعة وعشرين فقط كانت هناك ، وذلك من الخمسين صندوقًا

« حرك فان هينسيغ لسانه بسباب حاف ، ثم قال : « إن العدو لا يزال متقدمًا

ثُمَّ تَدَا يُعِيدُ عَدَّ الصَّادِقِ : « إِثْنَانِ وَعِشْرُونَ ، ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ .. »

ثُمَّ تَوَقَّفَ إِذْ كَانَ آرْتَرُ يَحْدِثُ دِرَاعَهُ لِيُسَبِّحَهُ إِلَى شَيْءٍ مَا ، وَقَالَ آرْتَرُ : « أَلَا تُلَاحِظُ أَنَّ لِمَكَانٍ أَقَلَّ إِطْلَامًا بِمَا كَانَ ؟ »

فَتَوَقَّفُوا خَمِيعًا عَنِ الْعَدِّ وَتَطَلَّعُوا حَوْلَهُمْ . كَانَ كُلُّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْمَسْجِدِ مُشْتَبِهًا بِمَا نَشَبَهُ نَفْطًا مَارِيَّةً خَمْرَاءَ ، ثُمَّ كَانَتْ هُنَاكَ تَحَرُّكَاتٌ صَغِيرَةٌ صَاحَتْهَا أَصْوَاتٌ حَفِيفَةٌ . وَوَقَفَ الْخَمِيعُ يُحَدِّثُونَ فِتْرَةً قَصِيرَةً ، ثُمَّ لَمْ يَنْتَبَهُوا أَنَّ فَهَمُوا كُلُّ شَيْءٍ . كَانَتْ الْكَبِيرَةُ سَمُوحَ بِمِثَالِ بَلِّ بِأَلَاكِ الْخُرْدَانِ وَجَرَى الْخَمِيعُ نَحْوَ الْبَابِ ، وَلَكِنَّ الْخُرْدَانَ خَرَّتْ نَحْوَهُمْ . كَانَتْ هُنَاكَ خُرْدَانٌ تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ ، وَخُرْدَانٌ تَجْرِي فَوْقَ أَقْدَامِهِمْ ، وَخُرْدَانٌ سَلَقَ فَوْقَ سُرَاوِيلِهِمْ ، وَخُرْدَانٌ فِي شَعْرِ رُؤُوسِهِمْ . أَمَّا الْخُرْدَانُ السَّمَاءُ الْعُتَالُ فَقَدْ بَعَثَتْ بِأَسْنَانِهَا فِي مَلَابِسِهِمْ ، وَكَيْسًا نَقَصَوْهَا عَنْهُمْ حُلَّ مَخْلُهَا الْكَمِيرُذُ وَالْكَمِيرُذُ ، كَانَتْ غُبُونُهَا تَلْمَعُ فِي الطَّلَامِ .

وَبَعْدَ لَايَ اسْتَصْبَاعُوا أَنَّ يَتَلَعُوا أَلَاتَ ، وَمَعَ أَنَّهُمْ شَقَرُوا بِالْأَمَانِ فِي الْخَارِجِ هَذَا أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَنْطَلِقَ لِسَانُهُ بِكَلِمَةٍ إِلَّا بَعْدَ مُضِيِّ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّمُوسِ . وَخَيْرًا قَالِ هَيْلَسِينِجُ : « عِنْدَمَا نَعُودُ عَدَا فَمَنْ الْخَيْرِ أَنْ يُخَصِّرَ آرْتَرُ كَلَابَهُ مَعَهُ . »

فَصَاحَ سِيوَارْدُ : « غَدًا ؟ إِنِّي لَا أُرِيدُ الْعَوْدَةَ إِلَى هُنَا أَبَدًا . »

فَرَدَّ قَالِ هَيْلَسِينِجُ : « إِنَّا مُصْطَرُّونَ إِلَى الْعَوْدَةِ رَضِينَا أَمْ كَرِهْنَا . لَا بُدَّ أَنْ نُذَمَّرَ الصَّادِقِ . »

وَبِالْحَقِيقَةِ لَمْ يَكُنْ قَالِ هَيْلَسِينِجُ يُفَكِّرُ فِي الصَّادِقِ الَّتِي يَقْتَرِمُونَ تَذَمُّرَهَا ، وَإِنَّمَا نَسِيَ كَانَ يُقَالُ هُوَ الصَّادِقُ الَّتِي لَيْسَتْ هُنَاكَ . إِنَّ وَاجِدًا وَعِشْرِينَ صَدُوقًا قَدْ نَفَلَتْ مِنْ كَارْفَاكْسَ وَلَا بُدَّ مِنَ الْعُثُورِ عَلَيْهَا .





## الفصل السادس عشر

بينما الرجال الأربعة جالسون حول المائدة يتناولون طعام الإفطار قال فان هيلسينغ :  
« واحد وعشرون صندوق مفقودة ، ومن المحتمل أن يكون في أي مكان . »

فقال آرثر : « إن واحدًا وعشرين صندوقًا تُولف جملًا كبيرًا ، فإذا كانت قد نُقلت  
نهارًا فمن المحتمل أن يكون بعض الذين في المستشفى قد لاحظوا نقلها . ومع ذلك  
فإن كارفاكس قريبة جدًا ، ولا بُدَّ أن الصّادق نقلت خلال الأسابيع الثلاثة الأخيرة . »

ومخافة وصنع الدكتور سيوارد فتحدث الشّاي بعجبة على المائدة و سارع بالخروج من  
الحجرة ، ثم عاد بعد لخطاب وفي يده قصاصة ورق ، والذهشة تغلو وحوه أصدقاؤه ،  
وصاح : « كان ينبغي ألا يعقبي التفكير في ذلك من قبل . . أعني : في تقرير الدكتور  
هيسي . » ثم قص عليهم قصة مهاجمة رينيلد لحماري عربة النقل ، وكيف أن دكتور  
هيسي احتاط بلامر فسجل اسميهما خشية أن تحدث متاعب مع الشرطة فيما بعد . ثم  
قال :

« وها هما الإسمان ، نوماس سينيغ ، و حوريف سموليت ، ولا بُدَّ أن رينيلد قد  
عرّف أنهما كانا يتغلان دراكولا في أحد هذه الصّادق . »

وقد أحس فان هيلسينغ بارتياح حينما سمع الخبر الذي جاء به الدكتور سيوارد ،  
وبدأ يضع الخطط من جديد . وساء على الخطّة ذهب حوانات إلى لندن للبحث عن  
حماري عربة النقل ، والإهتمام إلى المكان الذي نقل إليه الصّادق . أما الثلاثة الآخرون  
فقد عادوا إلى كارفاكس ، ولم يكن المكان في ضوء النهار مزرعًا كما كان بالأمس ،  
ولم تكن هناك حاجة إلى الكلاب التي أخصرها آرثر منعه لتبعد الخردان ، إذ لم يكن  
هناك أي منها ، ولا كانت هناك أية حجة في أي من الصّادق . ولذلك كان من السهل  
على الكروفيوسور أن يفتح كل صندوق ويصع في داخله قطعة من الخبز المقدس . ومعنى  
هذا أنه لن يستطيع مضاعف دماء أن يستقر فيها بعد ذلك

لم تكن ميا في صيحة طيبة ، وكانت تبدو شاحبه الوجه وهي تجلس لتناول

إفطار في الوقت الذي عاد فيه الرجال . وفيما بعد ، قامت بحولة في المستشفى مع  
الدكتور سيوارد ، وكان يزوي بها قصة رينيلد التي أدت اهتمامها ، حتى دعا حجرة  
مدخلها مع الطبيب . كان رينيلد يبدو هادئًا ، بل لقد كان ودودًا لبقًا في هذا اليوم ،  
بدا عليه أنه مُفحّت بميا التي استأدب الطبيب في أن تقضي معه بعض الوقت ليتحدث  
إليه . وبعد ظهر ذلك اليوم كان دكتور سيوارد مشغولًا بعمله ، كما كان الكروفيوسور  
مشغولًا بقراءة كتاب في الخديعة ، أما آرثر فقد أخذ كلاله في حولة سرّيص . وفيما  
بعد ، وصلت بركة من حوانات يقول فيها إنه لم يته من تحركاته بعد ، وبه قرّر أن  
يضي الليل في لندن . وبعد أن قصى الآخرون أمسية طيبة مُتخمين ، كصرفوا إلى  
مباحثهم واحدًا بعد الآخر . ولكن يبدو أن هذا اليوم الذي أفضى هادئًا لم يعد لهم  
بالعدد الكافي لمواجهة الليلة التي كانت تتطرحهم . ففي الدقيقة العشرين بعد منتصف  
الليل استيقظ فان هيلسينغ على صيحة مزرعة . وبينما هو يرتدي بعض ثيابه سمع وقع  
قام شخص بخري في الظهير نحو حجرة الدكتور سيوارد . ونشأ أنه الحارس الليلي  
، ليعلن أن رينيلد قد أصيب . وحسبما وصل الطبيب إلى حجرة رينيلد شاهده  
مُلقى على الأرض ، وأنه وجهت إلى رأسه صرّة شديدة هشمت عظمة الرأس  
، سقطت إلى الداخل وكان الرجل لا يزال حيًا ، ولكنه يتنفس بصعوبة .

قال فان هيلسينغ : « أخضر حقيقتك . لا بُدَّ أن تتحصص من انصعظ الذي تُحدثه  
عضمة المكسورة . لا بُدَّ أن نقصها فورًا وإلا فهذه سيموت . »  
ردّ سيوارد : « سوف يموت لا محالة . لقد كانت الصرّة في غاية العنيف . لا يمكن أن  
. . إصابة ساحة مُحرّد مقبوظ . »

قال فان هيلسينغ وهو يخلق الشّعر المثلوث بالدم يُسطف أنمكس الذي سيحدث فيه  
مض . « إذا أمكنه أن يُخبرنا بما حدث به فربما كان هذا عونًا لنا . »  
. قد بحث محاولات الطبيب وظهرت سائلها في الحال ، إذ أفتحت عينها رينيلد  
وبدأت شفّتها تتحركان ، ثم قال : « لقد جاء . »

فقال سيوارد : « استمر . »

فمضى يقول : « من حلال النعمة في الصَّيَاب ، مثلما جاء في النبيلة المصيبة .  
وعرفت أنه يسعى إلى دماء . لقد كانت السيدة هاركر طيبةً معي ، وكان يستعني إلى  
ديمها ، وحاولت أن أمتعها فطرحتني أرضاً . »

وحفت صوت رنيند المسكين حتى أصبح من الصغف سماعه ، ثم سكت بعد  
ذلك

وَجَسَّ دُكْتُور سِيوارْد تَبْضَةً ... لَقَدْ مَاتَ !

سم ينسني من الطيبين بكلمة ، وإثما الكدعا إلى احتياق الغنوي حيث أنما في  
طريقهما بآثر ، وأنجها مباشرة إلى خجرة ميا وتوقعا عند بابها وأنصتا ، وكان كل  
شيء هادئاً في داخل الخجرة ، فهل كان من الحكمة أن ينموا بما فاه به رجل محبوب في  
مخبة اختصاره ؟

وَقَالَ ثَان هِيلْسِينْغَ وَهُوَ يُحَاوِلُ فَتْحَ الْبَابِ فِي حَذَرٍ وَرَقَبٍ : « إِنِّهَا مَسْأَلَةٌ حَيَاةٍ أَوْ  
مَوْتٍ . »

كان الباب موصداً ، فاندفع آرثر على الفور وألقى بحسنه عليه بكل ما يملك من  
قوة ، فافتتح الباب على مصراعينه مما أدى إلى أن يهوي ألبروهيسور على الأرض وحين  
نهض على ركبتيه وفقت عينه على منظر حمد الدم في عروقه ، وطلن لحظة لا يستطيع  
أن يرفع نفسه عن الأرض .

كان دراكولا واقفاً ، وكان ظهره مُسنداً إلى الحدار الذي في أقصى الخجرة ، وكان  
يُنسبُ بميا صيفةً به ، وداغهُ أَيْمَنِي تَقْبِضُ عَلَى رَأْسِهَا وَتَدْفَعُ بِهِ بَحْرَ صَدْرِهِ كَمَا  
يَتَدَوَّنَ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ كَأَنَّهُمَا عَاشِقَانِ . وَلَكِنْ فَإِنَّ هَيْسِينْغَ لَمَحَ خُرْجاً مَفْتُوحاً فِي عُنُقِ  
مَصْاصِ دُمَاءٍ ، وَخَطَاً رَفِيعاً مِنَ الدَّمِ يَسِيلُ عَلَى صَدْرِهِ . كَانَ دِرَاكُولَا يَضَعُ عَلَى وَجْهِهِ  
مِينَا إِلَى أَسْفَلِ فَوْقَ صَدْرِهِ لِيَرْتَعِبَهَا عَلَى أَنَّ تَشْرَبَ مِنْ دَمِهِ كَمَا يَرْتَعِبُ الْمَرْءُ قَطْراً صَغِيراً  
عَلَى شَرَبِ اللَّيْنِ .





## الفصل السابع عشر

عاد جوناثان في الصباح الثاني وهو يشعر — على غير العادة — بالرضا عن نفسه ، فقد هدى إلى ثلاثة أماكن أرسلت إليها الصّادق خمسة منها أرسلت إلى مايل إند في نزي لندن ، وسبعة إلى وولورث في جنوب لندن ، وتسعة إلى رقم ١١٨ في بيكاديلي . كانت وحوه أصحابه الخربة التي قالوه بها في المُنشئى تم عن أمر ما ، مما خفله . مستعدا لتلقي الأخبار السيئة عن ما . ومع ذلك فقد وقع الخمر عليه وقع صاعقة . ولولا أن ميا نفسها كانت في غاية الشجاعة لفقد كل ما كان قد استرده من قوة في جسم والعقل في الأسابيع القليلة الماضية .

كان الاجتماع الذي عقده الأصدقاء في مكتب طبيب إلقاء غير سعيد . لقد حدث أمر في الثقة . فمن قبل ، ربما كان يكفي أن تدمر الصّادق ، ويضطرّ دراسولا إلى مساعدة إنجلترا ، أما الآن فقد أصبح من الضروري أن يدمر دراكولا نفسه إذا أريد إنقاذ ... لقد شربت من دم مصاص الدماء ، ولا يعلم أحد منهم متى يبدأ الشر ويقع .

ولكنهم — على الأقل — كانوا يعلمون الآن إلى أين نُقلت الصّادق ، وإذا سم يكرّ نولا قد قام بتوزيعها حول لندن — مرة أخرى — فمن الممكن تدميرها . ولكنّ نور سيوارد أثار أول مشكلة ، إذ قال : « كيف نتمكن من دخول الممر التي بها صّادق ؟ »

ورد جوناثان متسائلا : « كيف نتمكن الكونت من دخولها ؟ نحن نعلم أن له أساليه في الدخول . ولكنّه عادة — يستخدم مفاتيح . ولأنّه يُحفظ بهذه المفاتيح في ... ما ... ومنزل بيكاديلي يقع في وسط لندن . ولو كنت مكانه لاحتفظت بالمفاتيح ... »

فقال الطبيب : « هذا صحيح . ولكن لا يزال عليّ أن تدخل هذا الخبر . وبين

آخر وخمها وفميص نوبها مما غلق بها من دماء . وفي اللحظة التي كان يثبث فيها لكي يقهر كان فان هينسبع قد تمكن من الوقوف على قدميه ورفع لصليب في يده ووجهه نحو دراكولا ، وأقنطى به كل من سيوارد وآثر بصليتهما . أم مصاص الدماء فقد أطلق صرخة ، وفي اللحظة نفسها تسلّت صيانة إلى الخجرة وحيث غلها ، ولم تكذ تنفس حتى كان الكونت قد ذهب .

وانقصت ساعة قبل أن تستعيد مسا قدرتها على الكلام ، إذ كانت الضدمة التي أصابها شديدة . قالت ميا : « لقد كان أشدّ بحلم . حلم رابته في الليلة السابقة كنت على وشك أن يذكركي المعاس حينما طهر في حواري رجل لامع القين ، ووضع يديه عليّ ، فحارث قوي كلها . ثم .. » وبدا كأنها تعاني مشقة في الاستمرار في كلامها ثم قالت : « ثم فتح فميصه ، وأشب أطافره في عنقه فأخذت خرخا برمت دماؤه ، وجعلني أشرب من دمه . وبينما كنت أشرب ، وكان ذلك رغما عني ... بينما كنت أشرب .. قال : « ثم توقف .

فقال فان هينسبع : « حواري الاستمرار يا عزيزي »

فمضت تقول : « قال : الآن أصبحنا ولنا دم واحد ، وعقل واحد . لقد ساعدت أعدائي ، ولكلّك سوف تساعدني عاجلا . »

لم يتمكن أحد : إذ ماد يمكن أن يقولوا يساعدها ؟ ومضت ميا تقول والدموع تنهمر من عينيها ، وهي تمسك بيدي فان هينسبع : « ولكن هل صحيح يا بروفيسور ؟ هل ساطل أسيرة لدراكولا مرثضة به إلى الأبد ؟ وحينما أموت ، ألا تد أن أصبح واحدة من هؤلاء ؟ »

فرد فان هينسبع وهو يتدو أكبر ميا وأشدّ نياض شعر مما هو : « بالآتي ، إنك مع أصدقاء يصحون بحياتهم لكي تكوني آمنة . لقد تهاوت في الحفط غلث ، ولكنك لن تهاون بعد الآن . إذا كان دراكولا يصّر أنه كس شيئا في هذه الجولة فهو مخطئ . لقد كان لذيذ من قبل ست كاب يدفعنا لتدميرهِ ، أما الآن فإن هذا السب أصبح أقوى مما كان ألف مرة . »

مِنْ اسْتَهْلَ أَنْ تَسْلُلَ إِلَى مَتَرٍ كَبِيرٍ كَهَذَا يَفْعُ فِي خِيٍّ مَاهُولٍ مِنْ أَخِيَاءِ لَنْدَنَ ، وَفِي صَوْنِ  
النَّهَارِ ، دُونَ أَنْ يُبْلَغَ أَحَدُ الشَّرْطَةِ .

وَكَانَ الرَّؤُودُ عِنْدَ آرثرَ الَّذِي قَالَ : « أَتْرَكُوا لِي هَذِهِ الْمُهْمَّةَ . كُلُّ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ هُوَ  
مَجْمُوعَةٌ مِنَ الثِّيَابِ الثَّمِينَةِ . »

فَنَظَرُوا إِلَيْهِ مَذْهُوشِينَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْعَطْ بِكَلِمَةٍ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَتَدَوَّى وَهُوَ مُتَأَكِّدٌ تَمَامًا  
أَنَّ الْبُرُوفيسُورَ قَرَّرَ أَنْ يَتَّقِيَ فِي حُطَّتِهِ أَيْمَا كَانَتْ هَذِهِ اللَّحْظَةُ . وَلَكِنْ بِمِثْلِ هَذَاكَ صُعُوبَةٍ  
وَاحِدَةٍ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَنْ يُمَكِّنُ أَنْ يَتْرَكَوْا مِيسَا فِي رِعَايَتِهِ

فَسَأَلَتْ مِيسَا : « وَلِمَاذَا لَا أَصْحَبُكُمْ إِلَى لَنْدَنَ ؟ »

فَقَالَ الْبُرُوفيسُورُ : « لِأَنَّ الْعَمَلَ الَّذِي نَقُومُ بِهِ لَنْ يَكُونَ مِنْ نَوْعِ الْعَمَلِ الَّذِي تَحْتَمِلُ  
رُؤْيَتَهُ النِّسَاءُ . »

فَقَالَتْ مِيسَا : « بُرُوفيسُورَ ، إِنْ أُنْذِرْتُ رَأَيْتُ مِنْ قَتْلِ ، وَأُنْذِرْتُ عَانِيَتْ مِنْ قَتْلِ ، لَمْ  
يَكُنْ مِنْ نَوْحِ كَعْمَلٍ لَدِي تَحْتَمِلُ رُؤْيَتَهُ النِّسَاءُ ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُهُ وَعَانِيَتْهُ . إِيَّاهُ دَاهِيَةٌ  
مَعَكُمْ ، وَسَوْفَ تَرَى أَنَّنِي لَنْ أَخَافُ . »

وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ لَمْ يَكُنْ لَدِي قَانِ هِيلْسِينِجَ مَا يُحْيِي بِهِ ، وَذَهَبَتْ مِيسَا مَعَهُمْ

عِنْدَمَا اقْتَرَبُوا مِنْ نَدْنِ آرثرَ الَّذِي أَرْتَرُ الْمَلَامِسَ الثَّمِينَةَ ، وَبَدَأَ كَاتَّةً آتِرُ لُورْدَ ، ثُمَّ عَادَ  
الْمَحْطَّةَ وَخَدَّهُ فِي عَرَبِيَّةٍ ، وَقَالَ لَهُمْ وَهُوَ يَتْرَكُهُمْ : « أَتَهْلُونِي سَاعَةً وَاحِدَةً فَقَطْ . »

وَبَعْدَ مُضِيِّ السَّاعَةِ تَمَامًا كَانَ قَانِ هِيلْسِينِجَ وَسِيَّوَرْدُ يَسِيرَانِ إِلَى بِيكَادِيلِي ، وَعَلَى بُعْدِ  
أَرْبَعِينَ مِثْرًا خَلْفَهُمَا سَارَ جَوَانِائَانِ وَمِيسَا كَاتَّتُهُمَا لَا يَغْرَابُهُمَا . وَحِينَمَا مَرَّ الْبُرُوفيسُورُ  
وَسِيَّوَرْدُ بِأَسْمَرِلَ رَقْمِ ١١٨ أَخَذَتْهُمَا الدَّهْشَةُ إِذْ رَأَا أَنَّ أَلَدَ بَصْفَ مَقْتُوحٍ وَشَاهِدًا  
أَخَذَ الْعَمَالَ يَقُومُ بِعَمَلٍ مَا فِي الْقَفْصِ . فَتَوَقَّعَا وَنَظَاهَا بَأْتُهُمَا يَتَأَمَّلَانِ فِي مَقْرُوصَاتِ أَخَذَ

الْمَحَاوِرَ الْمُحَاوِرَةَ ؛ لَكِنَّمَا يَلْبَسَا إِلَيْهِمَا الْأَنْطَارَ . وَقَبْلَ أَنْ يَصِلَ جَوَانِائَانِ وَمِيسَا فَتَحَ بَابَ  
أَسْمَرِلَ كَامِلًا ، وَظَهَرَ آرثرُ مِنَ الدَّاحِلِ فَأَعْطَى الْعَامِلَ بَعْضَ الثَّقُودِ ، ثُمَّ خَمَلَ الْعَامِلُ  
حَقِيقَتَهُ وَانْصَرَفَ .

وَأَتَتْهُ الْخَمِيعُ دَاخِلَ أَسْمَرِلَ فَأَعْلَقُوا أَلَدَ ، وَوَقَفُوا فِي الْكَهْوِ يَتَحَدَّثُونَ وَوَجْهَهُ  
الْبُرُوفيسُورُ سَوَّالَةً إِلَى آرثرَ . « كَيْفَ بَأْتِي لَكَ أَنْ تَفْعَلَ هَذَا ؟ »

فَانْتَسَمَ آرثرَ وَقَالَ : « دَهَشْتُ إِلَى حَابِوَتِ لَتِيحِ الْأَقْفَالِ ، وَقَبْتُ إِنْ حَادِمِي الْأَخْمَقِ  
قَرَّ وَنَعَهُ كُلُّ مَعَانِيحِي وَإِنِّي لَا أُسْتَطِيعُ دُحُولَ مَتْرِي ، وَسَأَلْتُهُمْ مَا إِذَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ  
بِحَالِهِمْ ، فَأَرْسَلُوا أَحَدَ عُضَائِهِمْ مَعِي حَفِيظَةً نَفَذَ كَالْأَمْرِ فِي عَايَةِ الْبَنَاتِ . »

فَسَأَلَ سِيَّوَرْدُ : « وَلَكِنْ ... أَلَمْ يَسْأَلُوكَ عَنْهُ تَكُونُ ؟ »

فَأَجَابَ آرثرَ : « إِنَّهُمْ فِي لَنْدَنَ يُصَدِّقُونَ الرَّجُلَ الَّذِي يَلْبَسُ ثِيَابًا بَيْضَةً مَا دَامَ يَتَدَوَّى وَاتَّقَا  
نَفْسَهُ . »

وَهَكَذَا شَرَعُوا يَنْحَثُونَ فِي الطَّابِقِ الْأَرْضِيِّ حَتَّى وَحَدُوا الصَّدِيقَ فِي حُخْرَةٍ حَفِيفَةٍ كَرِيمَةٍ  
لَحْمَةٍ . وَقَالَ قَانِ هِيلْسِينِجَ : « نَسْفَةٌ ! الْحَمْدُ لِلَّهِ ، فَإِذَا كَانَ الْكُوبُ فِي وَاجِدٍ مِنْ هَذِهِ  
الْكُوبِ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْأَسْتِغْنَاءِ فِي تَحْتِ . »

بَرَكَ الْبُرُوفيسُورُ الْآخَرِينَ لِيَقُومُوا بِفَتْحِ الصَّدِيقِ ، وَصَعِدَ هُوَ إِلَى الصَّدِيقِ الْعُيُويِّ  
. حَلَّ الْحُخْرَةَ الْكَثْرَى الَّتِي تُظَلُّ عَلَى الشَّارِعِ . وَكَانَ فِي وَسْطِ الْحُخْرَةِ مَنْصُودَةً عَلَيْهَا  
فُتُوحٌ شَعْرٌ ، وَفُرُوحٌ مَلَامِسٌ ، وَفِيهَا قَدِيمٌ بِهِ قَبِيلٌ مِنَ الْمَاءِ . وَبَدَأَ كَمَا لَوْ كَانَ  
لَهُ قَدْ اسْتُخْدِمَ فِي إِزْلَةِ دَمٍ . وَكَانَ هُنَاكَ مِفْتَاحَانِ أَيْضًا . فَأَخَذَهُمَا وَهْطَ إِلَى الطَّابِقِ  
وَأُصْبِي فِي بَقَرِ اللَّحْظَةِ الَّتِي كَانُوا يَفْتَحُونَ فِيهَا الصَّدِيقَ الْآخِرَ . وَتَبَيَّنَ أَنَّ دِرَاكُولَا لَمْ  
يَكُنْ فِي أَيِّ مِنَ الصَّدِيقِ الثَّمِينَةِ ، وَلَكِنْ قَانِ هِيلْسِينِجَ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَفِيفَةِ يَتَوَقَّعُ أَنَّ  
يَكُونُ مَحْظُوظًا إِلَى هَذِهِ النَّجْجَةِ ، وَكَانَ فِي خَفِيَّتِهِ حُطَّتُ أُخْرَى



قال أثيرويسور : « حاك ، سوف نذهب إلى مايل إند ، أما آرثر وحيوانات هذين  
في وودز ، وهاكم كمفتاحين ، ولا تنسوا أن تتوقفوا في الطريق عند الفندق الذي  
نسر في بكين تأخذوا الحفيسين المشي تحتونك على كل ما تحتاجون إليه في مهمتكم .  
أما مينا وأنا فسبقى هنا ، وحاولوا أن تعودوا إلى هنا قبل حلول الصلح . »

انصرف الرجال الثلاثة وبقي فان هيلسينغ ومينا في المنزل وخذلها ، فصعدا إلى  
الصديق العلوي ، وحلسا إلى الشافعة يتطلعا إلى الشارع المزدحم وكا يحاولان ألا  
يفكرا في الصديق التي في الصديق الأرضي ، أو في السماء المصنوع بالذم فوق المصنوعة  
حتمها ، أو في نفاس مصاص الدماء التي كانت تسري في الهواء .

كانا يفحصان أهما في أماب في النهار ، ولكن ما إن ظهرت بواذر السماء ، وفقد  
شمار إشراقه حتى بدأ فان هيلسينغ ينأيه ألقى . هت أن الأصدقاء تأخروا وأن دراكولا  
العاصب لثائر عاد إلى المنزل في قوته وحجروته .

وفي حوالي الساعة السابعة كانت هناك طرقات عيمة على الباب الأمامي ، ونسب أنه  
حاك سيوارد الذي قال إنه وجد المنزل والصديق المحسنه ، ولكن لم يكن دراكولا في  
أي منها كذالك .

ومرت نصف ساعة ، وأخذت الطنمة زحف زوتد زوتدا ، وقيل أن نعم الظلام  
المكان إذا بالاب يطرق ثابة ، ودخل آرثر وحيوانات . ولكن لا أثر لدراكولا لقد  
وحده ستة صديق حالية ، أما الساع فمفقود . يالها من أخبار سيئة ! إن عدوهم لا يرأ  
طليفا ، وأما المكان الذي يختبئ فيه فإنه لا يرأ مخفولا .

قال فان هيلسينغ : « ولكنه يغتم أنه في مارق ، وسوف يرور صديقه ، وأعنف أنه  
سيأتي في وقت ما النية إلى هنا ، ويشي أن يكون مستعدين له إن فرضنا في قتله  
ليست كثيرة ولكن لا بد أن ننتهزها بدربما لا نتأخ سا فرصة أخرى . »

وطال أنظارهم في الحجرة الحلقية ثلاث ساعات قبل أن يطرق أسماعهم صوت  
المصباح في الباب الأمامي ، وحان الوقت ليأخذوا أمتهم . كان فان هيلسينغ يقف  
مهاجها الباب ، وآرثر إلى يمينه ، وسيوارد إلى يساره ، وقفت مينا في أحد أركان  
الحجرة أما حيوانات فكان يقف خلف الباب ممسك بالسكين الهندي الطويل الذي  
كان يذخه لهذه اللحظة

وسمعوا وقع أقدام حذرة في الكهف ، ومصت لحظة سكوب ، وفجأة نهوى الباب  
ننه وسقط ، وانتصب دراكولا في الحجرة بينهم أهوى عنه حيوانات بطعة ، ولكن  
دراكولا كان أسرع ففصر إلى أحد الحواب كما يقفر القط ، فلم يصب سكبين إلا  
سنة مخدنا فيها نقا وسعا . وتسافت الثفوذ الورقية والذهبية التي كانت فيها ،  
عندما كان فان هيلسينغ يتقدم يته والصليب في يده أحد وخه الكونت يتحول إلى  
أصفر محضر .

وفي اللحظة التي كان حيوانات يتأهب فيها لطفعة الثابة ونب الكونت فلقى نفسه  
بذراعته التي تحمل السكين منحاشيا الصرنة ، وألقط في طريقه حصة من الثفوذ التي  
من الأرض ، ثم اندفع متفيا نفسه من الشافعة

وحين سمع الأصدقاء صوت نهشم الزجاج ورين بقص الذهب الذي سقط ،  
عوا إلى الشافعة في الوقت المناسب لكي يروا دراكولا ينهض متثاقلا في السمر الذي يقع  
حلف المنزل ، وتطلع إليهم وهو يصيح :

« إنكم تأملون تدمري إنكم تطؤونكم تركتموني بلا مأوى استريح فيه ، ولكن  
في المرند إن مهمتي لم تبدأ إلا الآن . الآن فقط ، وإن الوقت في صالحني »

ثم أشار بأصبع غطاها الشعر إلى مينا قائلا : « إنها أصبحت ملكي ، وسوف  
تأخذكم كلكم . »

ثُمَّ انْطَلَقَ يَغْدُو تَتِي طَيَّاتِ الصَّلَامِ ، وَبَعْضُ مِنَ الْعَمَلَةِ الدَّهِيَّةِ بِتَسَاقُطِ مَتْنِهِ فَيُحَدِّثُ  
رَبَّنَا .

وَقَالَ أَلْتُرُوْفِيْسُورُ : « إِنَّهُ يَنْطَلِقُ بِكَسَمَاتٍ خَمَاسِيَّةٍ شَجَاعَةٍ ، وَلَكِنْ الْوَاقِعُ أَنَّهُ يَحْشَانَا ،  
وَأَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَمِمَّنْ هَذِهِ الْعَجَلَةُ الْمَحْمُومَةُ ؟ وَفِيمَ هَذِهِ الْحَاجَةُ — الَّتِي تُنَادِي  
مُلْحَةً — إِلَى كُلِّ هَذِهِ التَّقَوُّدِ ؟ »

قَالَ دُكْتُورُ سِيَوَارْدُ . « وَمَعَ هَذَا يَأْتُرُوْفِيْسُورُ فَرَنَّهُ لَا يِرْلُ يَشُدُّ مَكَانًا لِلِاسْتِرَاحَةِ لَا  
يَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ إِنَّهُ يَرْدَادُ خَيْرَةً بِمُرُورِ الْوَقْتِ هَلْ هُوَ حَقِيقَةً فِي حَاجَةٍ إِلَى كُلِّ هَذِهِ  
لِصَّادِيقِ الثَّرَايَةِ ؟ حَيْثُمَا عَادَرُ نَرَاتْسِيلْفَالِيَا كَانَ مِنَ الْوَاصِحِ أَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهَا  
مَعْلًا ، وَلَا يِرْلُ يَعْتَقِدُ ذَلِكَ الْآنَ . وَلَكِنْ مِنَ الْمَوْكُودِ أَنَّ بَدَنَهُ الْقُدْرَةَ عَلَى بِحَادِ أَمَاكِنِ  
حَدِيدَةٍ لِلِاسْتِرَاحَةِ ، فَمَا مَوْقِفُنَا مِنْهُ الْآنَ ؟ قَدْ يَكُونُ مَهْرُومًا أَمَامَهُ ، وَقَدْ يَلْحَاقُ إِلَى  
الْإِخْتِمَاءِ سَوَابِ ، وَفِي حِلَالِ هَذِهِ السَّنَوَاتِ مِنْ بَدْرِي ؟ »

وَأَذْرَكَ الْبَاقُونَ ثَمَامًا مَاذَا كَانَ يَعْصِي بِهِذِهِ الْعِبَارَةُ الْأَخِيرَةُ . مَا الَّذِي سَيُصِيبُ مِينَا ؟  
هَلْ مِنْ الْمُسْتَطَاعِ حَقًّا إِنْقَاضُ مِينَا ؟





## الفصل الثامن عشر

كانت وجبة الإفطار في صباح اليوم الثاني وخبث الصمت والسكون ، إذ كانوا جميعاً مشغولين بالتفكير : ماذا تكون الخطوة التالية ؟

وترث مينا إنيهم متأخرة ، فبادرها دكتور سيوارد بالسؤال : « كيف حالك اليوم ، يامينا ؟ »

فاجابت : « متعبة قليلاً . لقد رأيت أخلاماً كثيرة في الليلة الماضية . »

فسأل الطبيب الذي كان دائماً يرى أن للأخلام أهميتها : « أخلاماً شائعة ؟ »

فابتسمت مينا وقتت . « ليست شائعة في الواقع ، فقط مختلفة . لقد رأيت نفسي كأنما أنا في زورق وأني أسمع خرير ماء ، لا شيء أكثر من هذا . ولكن الحلم ظل يعاودني مرة بعد أخرى . »

فسألتها : « حينما هاجمك دراكولا في تلك الليلة ، ألم يقل إنك وإياه أصبحتما من دم واحد وعقل واحد ؟ »

قالت : « شيئاً من هذا القليل . »

فسأل الطبيب وهو يلتفت إلى فان هيلسينغ : « هل من الممكن بالنسبة لـ مينا في حالتها الحاضرة ، أن تدخل في عقل دراكولا يتما هي نائمة ؟ »

أجاب ألروفيوسور : « هذا تفكير له وجهته . »

فسأل الطبيب : « إذا لم يكن مجرد تفكير له وجهته بل كان حقيقة واقعة فيماذا تفسر الحلم الذي رأيته مينا عن الماء ؟ »

تدخل جوناثان في الحديث قائلاً : « لماذا أحتاج دراكولا إلى كل هذه القود ؟ »

أجاب ألروفيوسور : « إنه في حاجة ملحة إليها بدليل أنه توقف يلتقط من الأرض بعضاً منها وهو خارج . هل من الممكن أن يكون دراكولا معتزماً معاذرة إنجلترا ؟ »

كان ألروفيوسور يعتر غماً يحول في أذهانهم جميعاً من أفكار . ومضى يقول : « نرى هل يدنا من الشحاح معه أكثر مما تصور ؟ من المؤكد أنه الآن يتمكنك الرغبت ، فهو يرى أنه لم يعد يحس بالأمان في لندن ، بعد أن لم يتبق لديه غير صندوق واحد . إنه يعرف أننا نتعقبه ، ولذلك يفكر في الهرب عن طريق السماء في سفينة عائداً إلى موطنه . لا ، نحن لم نهرم بعد . إن المطاردة مستمرة . »

ونساءت مينا في خرب : « ولكن لماذا ؟ أكيد أنه يكفيكم أن تدفعوه إلى الخروج من هذا البلد . فلماذا تفرصون أنفسكم للتريد من المحاصر بتعقبه في البحر ؟ »

فأحد فان هيلسينغ يديها كيديهما في يديه وتطلع في غيبتها قائلاً : « يا سيده مينا ، إن لدينا روحاً تريد أن نخلصها من إسارها منذ أسبوع مضى كان من الممكن أن نكفي بما قلت ، أما الآن فعلياً أن نجده حتى ولو اضطررنا إلى الذهاب إلى الشيطان نفسه . »

فكانت مينا متأثرة بكلماته ، بن الرجال أنفسهم أحسوا بالدموع تترقق في أعينهم . لكن فان هيلسينغ أسرع بردهم إلى حو العمل الذي ينتظرهم فقد لهم . « تذكروا ، ليس لدينا دليل حتى الآن على أن ما يراود أفكارنا صحيح ، فعلياً أن تبحث عما إذا كانت هناك سمية عارثت لندن في ليلة الماضية متجهة إلى البحر الأسود ، ثم علينا بعد ذلك أن نعرف ما كانت تحمله هذه السفينة . »

ولم يكن من العسير أن يهندوا إلى هذه المعلومات ، فإذ كان دراكولا قد غادر لندن فلا بد أن يكون قد ركب سفينة واحدة هي كاترين التي أفتحت متجهة إلى قارنا في الساعة السادسة صباح ذلك اليوم . وقد ذهب جوناثان في نفس اليوم إلى المكتب المسؤول

## الْقِسْمُ الْخَامِسُ تَرَانِسِلْقَانِيَا ... مَرَّةً ثَانِيَةً

### الفصل التاسع عشر

بدأ حواناتان حرباً وهو يُعَدُّ الْفَطَارَ فِي قَارَنَا فِي أَوَّلِ شَهْرِ أَكْتُوبَر ( تَشْرِيسِ الْأَوَّلِ ) .  
كَانَ أَصْدِقَاؤُهُ قَدْ بَدَلُوا كُلَّ جَهْدٍ لِكَيْ يَجْعَلُوهُ يَفْقَدُ أَنَّ مِيَا بِحَيْرٍ وَ كَانَ حَمِيلاً أَنْ يَفْعَلُوا  
بِهِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْبُرُوفِيسُورَ وَ دُكْتُورَ سِيَوَارْدَ يُرَقِّبَاهُ يَوْمِيّاً لِكَيْ يَعْرِفَا مَا قَدْ يَطْرُقُ  
مِنْهَا مِنْ تَغْيِيرٍ فِي أَسْنَانِهَا ، وَ فِي عَظْمِهَا ، وَ فِي بَشَرِهَا . ذَلِكَ أَنَّ دَمَ مَصْصِصِ الدَّمَاءِ أَشْبَهُ بِعَصَةِ  
دَمٍ تَمْسُورٍ ، فَهُوَ يُخْذُ تَأْثِيرَهُ بَطَّيْءٍ ، وَلَكِنْ أَثَرُهُ أَكِيدٌ . وَ لَيْسَ هُنَاكَ وَسِيَّةٌ لِإِتْقَادِ  
مَنْجَبِهِ لَتِي شَرِبَتْ مِنْ دَمِهِ إِلَّا سَوَّابَ مَصْصِصِ الدَّمَاءِ نَفْسِهِ .

وَ كَانَتْ هُنَاكَ بَعِيرَاتٌ طَمِيعَةٌ قَدْ بَدَأَتْ تَنْظَهُرُ فِي بَطْنِهَا . وَ فِي بَعْضِ أَوْقَاتٍ كَانَتْ تَطْلُ  
مِنْهَا مِصْبَاتٌ غَيْرَ طَبِيعِيٍّ ، وَ كَانَ حَوَانَاتَانِ يَعْرِفُ أَنَّ هَذِهِ الصَّمْتِ الْمُتَكَرِّرَ يُبِيرُ الْفَلَقَ فِي  
جَنْبَيْهِ . كَانَتْ الْخُصَّةُ الَّتِي عُدَّوْهَا سَبِيعَةً ، فَقَدْ دَنَرُوا الْأَمْرَ قَتْلَ مُعَادِرَتِهِمْ لِنَدَى لِكَيْ تُرْسَلَ  
بِهِمْ زَرْقِيَّاتٌ تَعْلَمُهُمْ أَوَّلًا بِأَوَّلٍ عَلَى تَحَرُّكَاتِ السَّيْفِ كَأَثَرِ كَمَا أَنَّهُمْ أَتْلَعُوا مَكْتَبَ  
مَنْسَةِ فِي قَارَنَا أَنَّ عَلَيْهَا صُنْدُوقًا يَحْتَوِي عَلَى بَصَائِعِ مَسْرُوقَةٍ ، وَ تُفِي عَلَى أَنَّهُ عِنْدَمَا تُصِلُ  
مَنْسَةُ مِصْبَعُهُمْ مَعَهُمْ إِلَى طَهْرَهَا مَدُونٌ مِنَ الْمَكْتَبِ يَفْتَحُ صُنْدُوقٌ . فَإِذَا تَبَسَّرَ لَهُمْ  
مَشْعُودٌ إِلَى السَّيْفِ فَسَوْفَ يَقْنُونُ دَرَكُولًا ، وَ مِنْ يَدَعُوا أَحَدًا يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ذَلِكَ .

وَ قَالَ الْبُرُوفِيسُورُ : « إِنَّ الشَّرْطَةَ لَنْ تُسَبِّبَ لَنَا أَيَّةَ مَنَاعَةٍ ، إِذَنْ تَكُونُ هُنَاكَ حُتَّةٌ . فَمَا  
يَدْخُلُ الطَّرْفَ الْمُدْبِثُ فَلَنْ مَصْصِصِ الدَّمَاءِ حَتَّى يَسْخُلَ حَسْدُهُ كُلَّهُ وَ سَوْفَ يَسْتَطِيعُ أَخْذُ أَنْ  
تَنْتَبِهُنَا فَمِنَا أَحَدٌ . »

فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الْخَامِسِ وَ الْعِشْرِينَ مِنْ أَكْتُوبَر كَانَ الْأَصْدِقَاءُ يَخْلِسُونَ فِي الْفُلْدُقِ حَيْثُ

عَنِ السَّيْفِ وَ عَادَ بِقِصَّةٍ مُثِيرَةٍ . وَ فِي الْعِصَةِ أَنَّ رَحْلاً طَوِيلاً حَمِيلاً يَرْتَدِي مَلَابِيسَ سُودَاءَ  
زَارَ الْمَكْتَبَ فِي سَاعَةِ مُتَأَخِّرَةٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَ عَرَضَ مَتَاعاً كَثِيراً مِنَ الثَّمُودِ نَظِيرَ شَخِي  
صُنْدُوقٍ إِلَى قَارَنَا . وَ سَمَّيَ يَكْبِي الصُّدُوقَ مَعَهُ ، فَأَخْبَرَهُ الرَّتْدُ أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ فَاتَ لِأَنَّ  
السَّيْفَ سَتُفْلِعُ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ . وَلَكِنْ عِنْدَمَا حَاتَتْ سَاعَةُ الْإِفْلَاجِ ظَهَرَ فِي الْأَفْقِ ضِيَابٌ  
كَثِيفٌ ، وَ اصْطَرَّتْ السَّيْفُ إِلَى الْإِنْتِظَارِ . وَ حِينَئِذٍ عَادَ الرَّجُلُ ذُو الْمَلَابِيسِ السُّودَاءِ وَ هُوَ  
يَسُوقُ عَرَبَةً تُحْمِلُ الصُّدُوقَ ، وَ شَخْخَعَهُ عَلَى ظَهْرِ السَّيْفِ . ثُمَّ الْفَرَجَ الضِّيَابَ ، وَ أَقْلَعَتْ  
السَّيْفُ

فَقَالَ قَارَنَا هَيْسِيْنِعُ نَعْدُ أَنْ أَنْتَهَى حَوَانَاتَانِ مِنْ رَوَايَةِ قِصَّتِهِ : « يَا أَصْدِقَانِي ، إِنَّمَا حَمِيلاً  
. نَعْمُ حَمِيلاً » وَ كَرَّرَ الْكَلِمَةَ وَ هُوَ يَنْتَظِرُ إِلَى مِيَا ، وَ أَسْتَمَرَ يَقُولُ : « سَنَقُومُ بِرَحْلَةٍ . إِنَّ  
هَذِهِ السَّيْفِ — حَتَّى مَعَ الْأَسْتَعَانَةِ بِالرِّيحِ الَّتِي يُسَيِّطِرُ عَلَيْهَا دَرَاكُولَا — سَوْفَ تَسْتَعْرِقُ  
ثَلَاثَةَ أَسَابِيعٍ لِكَيْ تُصِلَ إِلَى قَارَنَا ، أَمَّا نَحْنُ فَسَوْفَ نَأْخُذُ الْقِطَارَ وَ سَنُفْلِعُهُ عِنْدَ وُصُولِهِ .  
إِنَّ لِقَاءَنَا الثَّانِي بِالْكَوْلِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ اللَّقَاءُ الْأَخِيرَ . »



تَلَقُّوا بَرَقَةً تَقُولُ : « تُعِيدُ التَّقَارِيرُ أَنَّ السَّفِينَةَ كَاتِرِينَ فِي الدَّرْدِيلِ الْيَوْمَ . »

كَانَ الْخَبْرُ مُثِيرًا ، فَقَدْ كَانَ يُعْنِي أَنَّ هُنَاكَ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَاعَةً نَسْتَعْرِفُهَا السَّفِينَةَ مِنَ الدَّرْدِيلِ حَتَّى قَارِبًا . وَكَانَتْ التَّرَقُّيَةُ مُوَرَّحَةً فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ ، وَهَذَا يُعْنِي أَنَّهَا سَتَصِلُ هَذَا الصَّبَاحَ ، وَرُبَّمَا بَعْدَ الظُّهْرِ ، وَأَيُّهَا كَاتِبُ أَحْوَاشِهَا سَتَصِلُ فِي صَوَاءِ النَّهَارِ

وَلَكِنْ خَبَّتِ السَّاعَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ وَلَمْ تَصِلِ السَّفِينَةُ كَاتِرِينَ . وَانْقَضَتْ فِتْرَةٌ مَا بَعْدَ الظُّهْرِ وَلَمْ تُكُنْ ثَمَّةَ أَخْبَارٍ عَنْهَا ، وَقَبْلَ أَنْ هُنَاكَ صَابَا فِي بَعْضِ الْأَمَاكِي ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ سَبَاقِي تَأْخِيرٍ وَصُولِهَا . وَلِذَلِكَ أُودِيَ إِلَى مَصَاحِعِهِمْ وَهُمْ مُنْتَشِسُونَ ، عَلَى أَنَّ يَتَاوَبَ الرِّجَالُ السُّهْرَ وَاجِدًا بَعْدَ الْآخِرِ طَوَالَ اللَّيْلِ فِي تَرْقُبٍ

وَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ رَأَتْ مَيَا فِي مَامِهَا الْمَاءَ كَذَلِكَ ، وَفُسِّرَ الْحَمَامُ بِأَنَّ دِرَاكُولًا — عَلَى الْأَقْلَى — لَا يَرَاهُ عَلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ .

وَمَرُّ الْيَوْمِ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ كَمَا مَرَّ سَابِقُهُ ، وَلَكِنْ فِي السَّاعَةِ آخَامِصَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ وَصَلَتْ بَرَقَةٌ أُخْرَى تَقُولُ : « تُعِيدُ التَّقَارِيرُ أَنَّ السَّفِينَةَ كَاتِرِينَ بِدُخُولِ عَالَانَرِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ . »

عَالَانَرِ « إِنَّ عَالَانَرِ تَقَعُ عَلَى بُعْدِ ثَلَاثِمِئَةِ كِيلُو مِثْرَ تَحَاهِ الشَّمَالِ عَلَى الدَّانُوبِ ! إِنَّهَا أَقْرَبُ إِلَى حَصْنِ دِرَاكُولَا مِنْهَا إِلَى قَارِبًا بِمِقْدَارِ ثَلَاثِمِئَةِ كِيلُو مِثْرٍ بِأَثَرِ مَا أَلْدَى حَدَثٌ ؟

كَانَ آثَرُ أَوَّلِ الْمُتَحَدِّثِينَ فَقَالَ : « هُنَاكَ قِطَارٌ يُعَادِرُ إِلَى عَالَانَرِ فِي السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ مَسَاءً اللَّيْلَةِ ، إِنْ أُخِذَ هَذَا الْقِطَارُ فَإِنَّا سَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَصِلَ فِي أَثْنَى عَشْرَةِ سَاعَةً . »

كَانَ رَثَرُ أَخَذَ أَوَّلِيكَ الَّذِينَ يَحْتَفِظُونَ بِجَدَاوِلِ الْمَوَاصِلَاتِ فِي رُؤُوسِهِمْ وَهَكَذَا وَصَلُوا إِلَى عَالَانَرِ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الثَّانِي ، وَكَانَ رُبَّانُ السَّفِينَةِ الْإِنْجِلِيرِيَّةِ الَّذِي قَابَلُوهُ مُتَعَاوِنًا مَعَهُمْ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ فَرَّوِي لَهُمْ قِصَّةَ عَرَبِيَّةٍ حَدَّثَهُمْ عَنْهَا صَادِقُهُمْ فِي الْبَحْرِ مِنْ خَطِّ طَبِّبٍ

عَلَى غَيْرِ الْعَادَةِ إِذْ كَاتِبَ الرِّيحُ مُوَاتِيَةً حَتَّى الْبَحْرِ الْأَسْوَدَ . ثُمَّ حَدَّثَهُمْ عَنْ الصَّبَابِ الْكَثِيفِ الَّذِي حُصِمَ بَعْدَ ذَلِكَ وَاسْتَمَرَّ أَيَّامًا ، وَعِنْدَمَا انْقَشَعَ الصَّبَابُ إِذَا بِهِمْ فِي الدَّانُوبِ عَلَى مَقَرَبَةٍ مِنْ عَالَانَرِ ، وَبِمَا أَنَّ الْأُورَاقَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالصُّدُوقِ تَقُولُ « عَالَانَرِ ، عَنْ طَرِيقِ قَارِبًا » فَقَدْ كَانَ مِنَ الْيَدِيِّ حِينَمَا يَتَقَدَّمُ شَخْصٌ لِتَسْلِمِ الصُّدُوقِ أَنْ يُسَلِّمَهُ لَهُ .

فَسَأَلَهُ قَانِ هِيلْسِينِغُ : « مَا اسْمُ هَذَا الشَّخْصِ ؟ »

أَخَذَ الرُّبَّانُ يَتَحَثَّ فِي أُورَاقِهِ ثُمَّ قَالَ : « هَا هُوَذَا هِيلْدَشَايِمُ ، إِنَّهُ تَاجِرٌ . »

فَشَكَرُوا لِلرُّبَّانِ مُعَاوَنَتَهُ الصَّادِقَةَ ، ثُمَّ عَادَرُوا السَّفِينَةَ وَدَهَبُوا إِلَى الْهَمْدِيَّةِ يَتَحَثُّونَ عَنْ هِيلْدَشَايِمِ الَّذِي أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا عَنِ الصُّدُوقِ . كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّهُ تَنَقَّى تَعْلِيمَاتٍ مِنْ لُتْدَنَ لَكِنِ يُسَلِّمُهُ إِلَى وَكِيلٍ يُدْعَى بِيَتِرْ سَكِيْسْكِي يَتَعَامَلُ مَعَ السُّلُوفَاكِ ، وَهُمْ يَدُورُهُمْ يَنْقَلِبُونَ الْبَصَائِعَ مِنْ مَسَابِجِ الْأَنْهَارِ وَمَصَابِيهَا إِلَى عَالَانَرِ .

وَقَصَدُوا إِلَى سَكِيْسْكِي فَلَمْ يَحْدُودُهُ فِي مَكْتَبِهِ أَوْ فِي نَيْتِهِ . وَقَالَ حَيْرَانُهُ إِنَّهُمْ لَمْ يَرَوْهُ مُنْذُ الْبَارِحَةِ . وَبَيْنَمَا كَانُوا يَتَحَدَّثُونَ إِلَى الْخِيَرَانِ جَاءَ صَبِيٌّ يَجْرِي لَاهِنًا وَهُوَ شَدِيدُ الْاضْطِرَابِ ، وَقَالَ إِنَّ سَكِيْسْكِي وَجَدَ مُلْقَى قُرْبَ مَسَاحَةِ الْكَنِيسَةِ وَقَدْ مَزَّقَ عُنُقُهُ شَرَّ مُسَرَّقٍ ، كَمَا لَوْ كَانَ قَدْ نَهَشَهُ خِيَوَانٌ صَارَ . وَمَا كَاذُ يُسَمِّ كَلَامُهُ حَتَّى هَرِغَ الْخِيَرَانُ نَحْوَ الْكَنِيسَةِ ، وَبَقِيَ الْبُرُوفِيسُورُ وَأَصْحَابُهُ وَخَذَهُمْ .

وَقَالَ قَانِ هِيلْسِينِغُ : « أُعْتَقِدُ أَنَّ السَّيِّدَ سَكِيْسْكِي لَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى مُسَاعَدَتِنَا آلَانَ ، وَلَكِنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَكْشِفَ الدُّوْرَ الَّذِي قَامَ بِهِ فِي تَفْصِيلِ حُصْطِ دِرَاكُولَا . إِنَّ الصُّعُوبَةَ الْهَامِلَةَ أَمَامَ دِرَاكُولَا الْآنَ هِيَ كَيْفَ يَعُودُ إِلَى جَنْبِهِ . فَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسَافِرَ بِطَرِيقِ بَرِّيٍّ فِي عَرَبِيَّةٍ أَوْ فِي الْقِطَارِ ، أَوْ بِطَرِيقِ نَهْرِيٍّ . »

« أَمَّا الطَّرِيقُ الْبَرِّيُّ فَهُوَ نَظِيٌّ وَفِيهِ مُحَاطِرٌ ، وَأَمَّا الْقِصَارُ فَهُوَ سَرِيعٌ وَلَكِنْ يَفْتَقِرُ إِلَى مَنْ يَتَوَلَّى رِعَايَةَ الصُّدُوقِ . ثُمَّ إِنَّ التَّوَقُّعَاتِ فِي الْمَحْطَّاتِ قَدْ تُكُونُ فِيهَا مُحَاطِرٌ ، وَالَّذِي

يبدو لي هو أن ثعلمه مع سكيكي يشير إلى أنه سافر بطريق النهر . ها هي ذي خريطة ، وأنت ذو خبرة بالإقليم يا حوثان ، فأنت تظن أنه قد ذهب ؟

ونظر حوثان إلى الخريطة ولم تكن تعرف هذا الجزء من الإقليم ، ولكنه كان قد تعلم الكثير من كتب الكونت .

كان هناك نهران يصبان في الدانوب من الشمال ، نهر بروث ونهر سيرث . وكان يعمم أن الملاحة في نهر بروث فصل بالسنة للزوارق ، أما نهر سيرث فهو يلتقي بنهر بيسترير عند هوندو ، وهو يسير محاديا لطريق بيسترير الحالية ولذلك قال حوثان : « فلتبع نهر سيرث . »

فقال قد هينيسينغ : « وهو كذلك . واعتقد أن الحطة التي ينبغي أن نأخذها هي أن يأخذ آرثر و حوثان زورقا بحاريا إلى منبع النهر ، أما أنت يا حاك فأنت أريدك أن تأخذ بعض الحيات وتتبع حشر النهر ، أما أنا وميا فسوف تأخذ القطار إلى فرستي ، ومن هناك نمضي في طريقنا نحو الحصن فإدا قمتم دراكولا في الطريق فنصرفوا معه ، أما إذا لم تلقوه فسوف نكون في انتظاركم في الحال . إنها فرصتنا الأخيرة . »

## الفصل العشرون

حيثما جاء حوثان إلى ترانسيلفانيا لأول مرة كان الجو مشمسًا ، ومن ثم كان السفر ممتعًا . أما الآن فالدنيا خريف ، والصبح الباكر مغيم فوق النهر ، والصدات مخيم في أغلب الأوقات . ولذلك كان حوثان يستعد بالدفع حيثما يفتح صندوق الاختراق في الزورق البحري الصغير ويصنع فيه مريداً من قطع الخشب

وطوال يومين — كان الزورق يسير فيهما ليلاً ونهاراً — كانا يمران بقليل من الزورق الصغيرة التي لم تكن حجمها يتسع لحمل صندوق الكونت . ولكن في اليوم الثالث — وحيثما كان الزورق يمر خلال نهر بيسترير — علما من بعض السلوكات العابرين أن هناك زورقا كبيرا كان يتحضر غابات النهر بسرعة غير عادية ، قد مر بهم في اليوم السابق . وقد أحبا هذا الخبر الأمل في نفسيهما . وحيثما رادا من سرعة الزورق كان مخبري النهر قد أصبح ضيقا صخريا ، ولم يحتل الزورق الصخور فأصابه عطب في النهاية ، واستغرق إصلاحه عدة ساعات ، كما أن الطقس بدأ يسوء .

كانا — في ذلك الوقت — على بعد حوالي تسعين كيلو مترا فقط من بيسترير . وكان آرثر يخشى أن يكون الصندوق قد سبق ثقته إلى الكبر . ولذلك غادروا الزورق عند أول مدينة صغيرة ليستخدما الحيات ، وقررا أن يسيرا بها عبر الطريق الرئيسية الصغيرة متجهين إلى الحكاك المحدد للقاء ميا وألبرويسور . ولم يكونا قد شاهدا جاك سيوارد منذ أول يوم غادرا فيه غالانز ، ولذلك اعتقدا أنه سبقهما على الطريق .

أما ألبرويسور ومينا فكانا قد وصلا إلى فرستي في منتصف نهار اليوم الحادي والثلاثين . وكانت هذه المحطة هي بهاية مسار القطار ، ولذلك غادراها ليركبا عربة تأخذهما لمسافة مئة كيلو متر من فرستي إلى طريق بيسترير الحالية .

وأشترى ألبرويسور بعض الطعام والملابس الثقيلة ، وقال لمينا : « ربما لا نرى مدينة أخرى لمدة أسبوع . »



كاتب الطرق سيئة ، ولكن كان هيلسينغ لم يكن يعرف الكلال ، ومضيا قداما ، ولم يكونا يتوقعان إلا لغزات قصيرة من أجل النوم ، أو لتغيير الجهاد كلما كان ذلك ممكنا . حتى بلغا طريق بيستريتر في اليوم الثاني .

كانت ميا تدم كثيرا ، ولكن الأحلام التي كانت تراها عن السماء توقفت ، مما يشير إلى أن دراكولا لا بد أن يكون قد عادر التهر . والآل وقد أحدا يرداد صعدا في الحبال ، بدأت ميا تتخلص من رغبتها في العاس ، وبدأ عليها الاهتمام الشديد بالطريق ، وأخيرا هتفت وهي تشير إلى طريق جانبية : « هذه هي الطريق . »

فقال فان هيلسينغ : « أأنت متأكدة ؟ »

فاجابت : « بالطبع ، ألم يسافر جوناثان في هذه الطريق ويخبرني عنها ؟ »

ومع أن الأمر بد ، لقد هيلسينغ عريا فائدة أصاعها ، وبعد ساعتين نثر أنها كانت على صواب ، فقد شاهدا — لأور مرة — من خلال فرجة بين الأشجار جذرا تكتلها السحوت .. جذرا قنعة دراكولا . فانسحبا بعيدا عن الطريق بين الأشجار ، وأدرك فان هيلسينغ أن الثلج سيذوب ، فأوقفا نارا . ثم أحد عودا وخط به دائرة حول النار وميا ، وألقى فيها بعض قطع صغيرة من الخبز المقدس . ثم مشى إلى خارج الدائرة ، ووقف ينظر إلى ميا وهي جالسة بجوار النار صابرة كالأموات ، ثم نادى : « ميا ، تعالي إلى هنا . »

فنهضت وبدأت تمشي نحوه ، ثم توقفت ، وبدأ أنها عاحرة عن التقدم خطوة أخرى . فمد فان هيلسينغ يده نحوها وقال : « تعالي . »

فهزت رأسها ثم اتهازت فوق الأرض . لقد حدث ما توقعه . كانت فعلا قد أصبحت مصنف مصاصة دماء ، ولم تستطع أن تتحرك خارج الدائرة . ولكن إذا لم تكن هي قادرة على اختبار الدائرة بخروج منها ، فإن الآخرين لن يكونوا قادرين على اقتحام

لدائرة ليدخلوها . أما هو فسكون أما ما بقي في داخل الدائرة ، وما دام يحرص على ألا يصبه أدنى من ميا نفسها . وأخذ يتطلع إليها ، أما هي فقد عادت إلى النار وجلست بجوارها مستغرقة في أفكار عميقة خفية .

حجم الطلام على المكاب ، وكانت الجهاد تسهل سهلا مدعورا ، وتحاول التخلص من الشجرة التي ربطت إليها . فأنحه فان هيلسينغ إليها ، ورثت عليها يديه لتهدئتها . ومع أنه كان منهوكا مكثودا فإنه لم يخرو أن ينام قبل أن تمام ميا التي كانت أرقه .

وفي حوالي الساعة الثالثة صباحا بدأت النار تحم ، وكان يوشك أن ينهض ليخبر بعض الخشب قبل أن يتكاثر سقوط الصقيع حينا تكثمت ميا . قالت : « لا تخرج من الدائرة الآن . إنني كما أنت أيا . »

فوقف قائلا : « ربما أكون أما ، أما أنت ... »

فاطلقت ضيخة حافة غير طبيعية وقالت : « لا نخف علي . ليس هك من هو أشد منا مي . فانا في أمان منهم . »

وكان يوشك أن يسألها عن كانت نغمي بقولها « منهم » حتما صهلت الجهاد نية ، فطر فإذا ثلاث مساء يتحرك حول حافة الدائرة كما تفعل الرقصات ، فتملكه تحوف إذ أدرك أنهم لا بد أن تكون سيدات القلعة اللاتي شرين من دم جوناثان . ومدت مساء أذرعهن نحو ميا كما لو كن يدعونها لتشاركهن . وأحسن فان هيلسينغ بما بدأ سبات ميا من إثارة أحدث تزايد رويدا رويدا . وفكر ، ترى هل ستطو القوة التي في دائرة صابدة ؟

ولم يشأ أن يترك الأمور للمصادفة ، فالتقط قطعة من الخشب كمنهج وألقاها عليهم وصاح : « باسم الرب اذهب بعيدا . » فإذا بهم يتعذر صراحت لاعتاب



وَعَادَ السُّكُونُ يُحْيِمُ عَلَى السَّمَانِ ، وَأَحْسَرَ بِإِرْهَاقٍ لَمْ يُجَسِّرْ بِهِ مِنْ قَبْلُ ، وَلَكِنْ مِمَّا  
كَانَتْ تُنْظَرُ إِلَيْهِ نَظَرَاتٍ غَرِيبَةً . وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُوَاجِهَ الْحَقِيقَةَ الْمُفْرَعَةَ ، إِذْ لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ  
أَمَانٌ فِي أَنْ يَنَامَ وَهُوَ بِصُخْبَتِهَا . إِنَّهَا تُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ عَالَمَ اللَّامَوْتِ .  
وَأَقْبَلَ النَّهَارُ يُبْطِئُ ، وَتَوَقَّفَ سُقُوطُ الصَّقِيعِ ، وَلَكِنْ السَّمَاءُ كَانَتْ لَا تَزَالُ مُلْبَدَةً  
بِالْغُيُومِ .

كَانَ جُونَاثَانُ وَآزْرَرْ قَدْ اتَّقِيَا بِجَاكَ سِيوَارْدَ عَلَى الطَّرِيقِ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ . وَبَيْنَمَا كَانَ  
الْفَرَسَانُ الثَّلَاثَةُ فِي طَرِيقِهِمْ لَاحِظُوا آثَارًا حَدِيثَةً لِعَجَلَاتٍ فَوْقَ الْأَرْضِ الَّتِي يَكْسُوهَا  
الصَّقِيعُ الْخَفِيفُ . فَاسْتَدَلُّوا بِهَا عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَتَعَدُّونَ عَنْ غَدْوِهِمْ إِلَّا مَسَافَةً قَصِيرَةً . وَتَعَدَّ  
الظُّهْرُ بِقَلِيلٍ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَلْمَحُوا فِي طَرِيقِ الْجَبَلِ فَوْقَهُمُ الْعَجَرَ الَّذِينَ كَانَ السُّلُوفَاكَ قَدْ  
سَلَّمُوا إِلَيْهِمُ الصُّدُوقَ . وَحِينَمَا أَخَذَتِ الشَّمْسُ تَمِيلَ يُبْطِئُ لِلْمَغِيبِ كَانَ وَاضِحًا لِلْجَمِيعِ  
أَنَّهُمْ فِي سِيَاقٍ مَعَ الزَّمَنِ .

وَفَجْأَةً سَمِعُوا طَلْقَةً تُدَوِّي فِي الْفَضَاءِ ، وَكَانَ مُصْنَدُهَا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْهُمْ .  
فَسَحَبَ جُونَاثَانُ السُّكَيْنَ الْهِنْدِيَّ الَّذِي مَعَهُ ، وَحَثَّ جَوَادَهُ الْمَكْدُودَ لِيَنْتَظِقَ ،  
وَأَوْشَكَبَ الْمَعْرَكَةَ الْفَاصِلَةَ أَنْ تَبْدَأَ .

تَوَقَّفَ الْعَجَرُ ، وَتَجَمَّعُوا حَوْلَ عَرَّتَيْهِمْ وَفِي أَيْدِيهِمُ السَّكَاكِينُ ، وَفِي مُوَاجَهَتِهِمْ فِي  
وَسَطِ الطَّرِيقِ كَانَ قَانُ هِيلْسِينْغِ يَقِفُ شَاهِرًا مُسَدَّدًا . وَبَدَأَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ مُتَرَدِّدُونَ لَا يَعْرِفُونَ  
مَاذَا يَفْعَلُونَ . كَانَ قَانُ هِيلْسِينْغِ وَاحِدًا ، وَكَانُوا كَثِيرِينَ . صَحِيحٌ أَنَّهُ يَحْمِلُ مُسَدَّدًا ،  
وَلَكِنْ مَاذَا إِذَا هَاجَمُوهُ كُلُّهُمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً ؟

وَلَكِنْ الْوَقْتُ لَمْ يُسَعِفْهُمْ لِكَيْ يَتَّخِذُوا قَرَارًا ، فَمَا هِيَ إِلَّا لَحْظَةٌ حَتَّى كَانَ الْفَرَسَانُ  
الثَّلَاثَةُ يَتَدَفَعُونَ بِجِيَادِهِمْ نَحْوَهُمْ مُبَاشَرَةً ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ جُونَاثَانُ يُلَوِّحُ بِسِكِّينِهِ وَيَصْبِحُ  
صَيْحَاتٍ ضَارِبَةٍ .





كَانَ الْعَجَرُ مَكْدُودِينَ مِنْ وَغْثَاءِ السَّفَرِ ، وَأَخَذَهُمْ هَوْلُ الْمَفْاجِأَةِ ، فَتَظَاهَرُوا بِرَهْمَةِ  
بِمُظْهِرِ الْمُقَاتِلِينَ ، وَلَكِنْ سَرَعَانَ مَا تَكْصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ وَفَرُّوا هَارِبِينَ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ .

كَانَتْ الشَّمْسُ وَقَبِيضٌ قَدْ أَخَذَتْ تَنَدَلِي نَحْوَ أَسْفَلِ الْجَبَلِ حَتَّى بَلَغَتْ مُتَصَفِّ  
الْمَسَافَةِ ، وَأَذْرَكُوا أَنَّهُ بَعْدَ دَقَائِقٍ تَعُودُ إِلَى دِرَاكُولَا قُوَّتِهِ وَيَقِيْقُ . فَكَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُسَارِعُوا  
قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ . وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ فَاتَهُمْ أَنْ يُخْضِرُوا آلَةً يَفْتَحُونَ بِهَا الصُّنْدُوقَ ، فَالْتَقَطُوا  
بَعْضُ الْأَخْجَارِ وَتَسَلَّقُوا الْعَرَبَةَ وَأَخَذُوا يَطْرُقُونَ أَعْلَى الصُّنْدُوقِ بِشِدَّةٍ كَأَنَّهُمْ مَجَانِينُ .  
وَكَانَتْ الشَّمْسُ قَدْ بَلَغَتْ فِي ثَدْلِيهَا ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْمَسَافَةِ نَحْوَ أَسْفَلِ الْجَبَلِ . وَكَانُوا يَكَادُونَ  
يُجْسُونَ جَسَدَ دِرَاكُولَا يَتَحَرَّكُ دَاخِلَ الصُّنْدُوقِ ، وَأَخِيرًا وَمَعَ الضَّرْبَاتِ الْمُتَتَالِيَةِ  
بِالْأَخْجَارِ ، تَحْطُمُ خَشَبُ الصُّنْدُوقِ ، وَبَدَأَ يَظْهَرُ وَجْهُ دِرَاكُولَا ، ثُمَّ انْفَتَحَ فَمُهُ ، وَخَرَجَ  
مِنْهُ صَوْتُ خَفِيفٍ . إِنَّ قُوَّةَ الشَّرِّ قَدْ اسْتَيْقَظَتْ . تَرَى هَلْ فَاتَ الْأَوَانُ ؟

كَانَتْ الشَّمْسُ قَدْ اخْتَجَبَتْ أَسْفَلِ الْجَبَلِ حِينَمَا وَضَعَ الْهَرُوفِيسُورُ قِطْعَةً مِنَ الْخَشَبِ —  
الَّتِي كَانَ قَدْ قَطَعَهَا مِنْ شَجَرَةٍ — فَوْقَ قَلْبِ مَصْأَصِ الدَّمَاءِ . ثُمَّ رَفَعَ كُتْلَةً مِنَ الْخَشَبِ  
وَطَرَقَهَا بِهَا بِشِدَّةٍ .

كَانَتْ لِحُظَّةٍ رَهِيبةً . وَهَبَاتُ أَنْ يَنْسُوا ، مَهْمَا أَمْتَدَّ بِهِمُ الْعَمَرُ — آخِرَ صَبِيحَةٍ أَطْلَقَهَا  
دِرَاكُولَا عِنْدَمَا انْفَتَحَتْ عَيْنَاهُ وَانْعَرَزَ الطَّرْفُ الْمُدْبِبُ فِي قَلْبِهِ . وَكَانَتْ الصَّبِيحَةُ هِيَ الَّتِي  
جَعَلَتْ مِينَا تُهْرَوِلُ نَحْوَهُمْ مِنْ مَنَاطِقَةِ الْأَشْجَارِ حَيْثُ كَانَتْ مُحْتَفِيَةً ، وَانْتَفَتَحَتْ الْخُمْسَةُ  
جَمِيعًا حَوْلَ جُتَّةٍ عَدُوِهِمْ .

وَأَخِيرًا هَمَدَتْ الْجُتَّةُ ، وَتَوَقَّفَتْ حَرَكَاتُ الدَّرَاعَتَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ الضَّارِبَتَيْنِ ، وَنَظَرُوا فَإِذَا  
وَجْهُهُ الَّذِي لَا يَزَالُ مَمْلُوءًا بِالْحَقْدِ يَتَحَوَّلُ مِنْ أَيْضَ إِلَى أَصْفَرٍ ثُمَّ إِلَى زَمَادِي . وَبَدَأَ  
الْجَسَدُ كُلُّهُ يَجِفُّ وَيَضْمُرُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَمَا هِيَ إِلَّا خُمْسُ دَقَائِقٍ حَتَّى بَدَأَ أَشْبَهُ بِالْخُضْمِ  
الدَّابِلَةِ ، ثُمَّ ضَمَرَ وَدَوَى نِهَائِيًا .

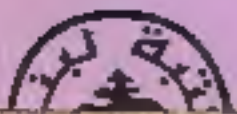
كَانُوا يُرَاقِبُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُحَوِّلُوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا يَخْدُثُ . وَلَمْ تَكُنْ قَدْ مَضَتْ  
نَحْوَ عَشْرِ دَقَائِقٍ مُنْذُ انْعَرَزَ الطَّرْفُ الْمُدْبِبُ فِي قَلْبِ دِرَاكُولَا — حَتَّى كَانَ الْجَسَدُ كُلُّهُ قَدْ  
تَحَلَّلَ . وَذَهَبَتْ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ قُوَى الشَّرِّ الَّتِي كَانَتْ تَعِيشُ فِيهِ .

وَالْتَفَتَ الرِّجَالُ إِلَى مِينَا ، وَمَعَ أَنْ ضَوْءَ النَّهَارِ كَانَ قَدْ ذَهَبَ ، فَقَدْ اسْتَطَاعُوا أَنْ  
يَلْحَظُوا التَّغَيَّرَ الَّذِي طَرَأَ عَلَيْهَا . فَالْأَسْنَانُ الطَّوِيلَةُ ، وَاللُّوْنُ غَيْرُ الْعَادِي لِلْبَشَرَةِ ، وَالنُّظْرَةُ  
الْعَرَبِيَّةُ فِي عَيْنَيْهَا .. كُلُّ ذَلِكَ قَدْ اخْتَفَى .

لَقَدْ عَادَتْ ثَانِيَةً لِتَكُونَ مِينَا ... مِينَا الَّتِي كَانَتْ مِنْ قَبْلُ .. مِينَا الَّتِي أُحِبُّهَا جُونَانَانِ .  
لَقَدْ لَحِثَ .

## الروايات المشهورة

- |                |                          |
|----------------|--------------------------|
| ١- جين إير     | ٤- دراكولا               |
| ٢- فرانكنشتاين | ٥- لورنا دون             |
| ٣- مونفليت     | ٦- دكتور جيكل ومستر هايد |



مَكْتَبَةُ لِبْنَان

سَاحَةُ رِيَّاضِ الصَّلَح - بَیروت

رقم مرجع كمبيوتر 01 C 198 104



2 114001 031011

51 00





هذا العمل هو لعشاق الكوميكس ، و هو لغير أهداف ربحية ولتوفير المتعة الأدبية فقط ، الرجاء حذف هذا العدد بعد قراءته ، و ابتياع النسخة الأصلية المرخصة عند نزولها الأسواق لدعم استمراريتها...

This is a Fan base production , not for sale or ebay , please delete the file after reading, and buy the original release when it hits the market to support its continuity